دراسات في الأدب والشعر

تأملات
في شعر المناسبات

دكتور
نعمان عبد السميع متولي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دار الجديد للنشر والتوزيع

810.9
م . ن

متولي ، نعمان عبد السميع.

دراسات في الأدب والشعر: تأملات في شعر المناسبات / د. نعمان عبد السميع متولي.- ط1.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دار الجديد للنشر والتوزيع.

83 ص ؛ 17.5 × 24.5سم .

تدمك : 8 - 770 – 308 – 977 – 978

1. الشعر العربي – نقد وتاريخ .
أ - العنوان .

رقم الإيداع : 14174

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز

هاتف- فاكس : 0020472550341 محمول : 00201277554725-02001097564757

E-mail: elelm_aleman2016@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع

تجزءة عزوز عبد الله رقم 71 زرالدة الجزائر

هاتف : 24308278 (0) 002013

محمول 661623797 (0) 002013 & 772136377 (0) 002013

E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾

[سورة المُلك: الآية 12 – 14]

إهداء

إلى ولديّ محمد وأحمد فيما يمران به من ظروف قاسية، أدعو الله أن ييسر لهما كل أمر عسير، وأن يرعاهما، ويحفظهما من كل داء، وبلاء وأن يأخذ بأيديهما إلى طريق النجاح، والفلاح

"اللهم آمين"

الفهرس

مقدمة

أحمد الله تعالى وأصلي وأسلم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ،

وبعد :

فهذا بحث يتناول تأملات في شعر المناسبات ، ينقسم إلى قسمين : الأول: يتناول تنظيرا لشعر المناسبات وماأثير حوله من جدل، وآراء النقاد فيه ، ورأي الباحث ، وفي القسم الثاني عرض لنماذج من شعر المناسبات ، وهي لشعراء مشهورين في ساحة الأدب ، حرص الباحث على انتقائها ، لما فيها جودة ومتعة ، مع التعليق عليها ، ثم ثبت بالمراجع التي اعتمد عليها الباحث.

وموضوع البحث ليس بجديد ؛ فقد تناوله السابقون ، وأفاضوا فيه ، ولأن ساحة الادب والنقد تتسع لكل الآراء فقد رأينا أن ندلي بدلونا في هذه القضية ، آملين أن يجد القارىء في هذا البحث مايفيد .

والله الموفق والمعين

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

شعر المناسبات

قضية قديمة برزت بمفهومها عند النقاد على سطح الساحة الأدبية في عصرنا الحديث، وابتدعه النقاد المحدثون بعد قراءاتهم للأدب العربي القديم ، " ولا أدري إن كان ذلك الاصطلاح قد انتقل إلينا من مدارس ومذاهب النقد الغربي الحديث، أم أنه ولد مع ظهور الأدب العربي الحديث بعد الحرب العالمية الأولى، أي مع احتكاك الأدباء العرب بالأدب الغربي، وخاصة منه الأدب الأوربي." [1]

والمناسبة كما نعلم هي كل مايقترن في زمن معين بعيد أو بذكرى، دينية أو وطنية أو قومية، ومايكتبه الأديب أوالشاعر عن هذه المناسبة يسمى أدب المناسبات. ويترتب على ذلك أن هذا اللون من الشعر لا يصدر عن عاطفة صادقة – بحجة أن المناسبة هي التي تملي هذا اللون من الأدب على صاحبهافيصدر عن إحساس عابر وانفعال فاتر ، ومن ثم يرى النقاد ان شعر المناسبة ينتهي ويموت بانتهاء المناسبة

وبناءً على ذلك انقسم الشعراء والنقاد حيال قضية (شعر المناسبات) إلى فريقين:

الأول:

يرى أن الشعر كله مناسبة والمناسبة تؤدي إلى كثرة الإنتاج، ولاضير أن يكتب الشاعر فيما يعن له من مواقف ، " فما الشعر إلا مناسبة."(2)

أما الفريق الثاني:

فيرى أن شعر المناسبات هو نوع من الشعرالمتكلف الذي يخلو من صدق الإحساس ، ومن ثم يخرجون شعر المناسبات من دائرة الشعر الحقيقي ، ويرون أن

[1]- أدب المناسبات ، مجلة : دعوة الحق ، العدد186، المملكة المغرب .
[2]- محمود غنيم ، الأعمال الكاملة ’ المجلد الأول ، المقدمة دار الغد العربي ، القاهرة 1993م.

هذا اللون من الشعر لا يمت إلى الأدب بصلة، وبالتالي وجب رفضه حتى وإن أجاد صاحبه ، وأحسن صياغته .

ولنا أن نبسط القول ونتناول القضية بشيء من التؤدة والروية ، وإعمال الفكر، فالشاعر – كما نعلم – جزء من البيئة المحيطة به لاينفصل عنها ، ولايبتعد عما يدور حوله ، ولأن الشعر إحساس وانفعال ؛ فمن الطبيعي أن يتأثر الشاعر وينفعل ، ثم يعبر شعرا بعد ذلك ، والمتلقي بعد ذلك يحكم على المبدع بتكلف العاطفة أو بصدقها وفق مايحس ويتأثر به ، حتى لو كانت المناسبة شديدة الخصوصية .

وكثير من المناسبات التي تهم البيئة لاينبغي أن يتركها الشاعر ، خذ لذلك مثلا قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي في مذبحة دنشواي **التي يقول فيها:**

يا دِنشِوايَ عَلى رُباكِ سَلامُ	**ذَهَبَت بِأُنسِ رُبوعِكِ الأَيّامُ**
شُهَداءُ حُكمِكِ في البِلادِ تَفَرَّقوا	**هَيهاتَ لِلشَملِ الشَتيتِ نِظامُ**
مَرَّت عَلَيهِم في اللُحودِ أَهِلَّةٌ	**وَمَضى عَلَيهِم في القُيودِ العام**
كَيفَ الأَرامِلُ فيكِ بَعدَ رِجالِها	**وَبِأَيِّ حالٍ أَصبَحَ الأَيتامُ**
عِشرونَ بَيتاً أَقفَرَت وَاِنتابَها	**بَعدَ البَشاشَةِ وَحشَةٌ وَظَلامُ**
يا لَيتَ شِعري في البُروجِ حَمائِمٌ	**أَم في البُروجِ مَنِيَّةٌ وَحِمامُ**
نَيرونُ لَو أَدرَكتَ عَهدَ كَرومِرٍ	**لَعَرَفتَ كَيفَ تُنَفَّذُ الأَحكامُ**
نوحي حَمائِمَ دِنشِوايَ وَرَوِّعي	**شَعباً بِوادي النيلِ لَيسَ يَنامُ**
إِن نامَتِ الأَحياءُ حالَت بَينَهُ	**سَحَراً وَبَينَ فِراشِهِ الأَحلامُ**
مُتَوَجِّعٌ يَتَمَثَّلُ اليَومَ الَّذي	**ضَجَّت لِشِدَّةِ هَولِهِ الأَقدامُ**
السَوطُ يَعمَلُ وَالمَشانِقُ أَربَعٌ	**مُتَوَحِّداتٌ وَالجُنودُ قِيامُ**
وَالمُستَشارُ إِلى الفَظائِعِ ناظِرٌ	**تَدمى جُلودٌ حَولَهُ وَعِظامُ**

فـي كُـلِّ نـاحِـيَـةٍ وَكُـلِّ مَـحَـلَّةٍ حَـزعـاً مِـنَ المَـلأِ الأَسـيَفِ زِحـامُ

وَعَـلى وُجـوهِ الشاكِـلـيـنَ كَـآبَـةٌ وَعَـلى وُجـوهِ الشاكِـلاتِ رُغـامُ

كما كتب في المناسبة نفسها شاعر النيل حافظ إبراهيم ، وكتب فيها غيره من الشعراء.

صحيح أن المناسبة انتهت ومضى على مرورها زمن بعيد ولكن يبقى الشعرخالدا باقيا ، وقد يقول قائل هذه مناسبة عامة وحادث يهم المجتمع ، وهذا أمر صحيح نوافق عليه .

وهناك مناسبات شديدة الخصوصية سجلها الشاعر بقلمه وأحاسيسه ، ومع ذلك كانت جيدة، واستمع إلى الشاعر محمد التهامي الذي يناشد طفله الصغير ألا ينام حتى يراه ، فقد كان الشاعر يخرج مبكرا في الصباح لعمله والطفل نائم ، يعود من عمله متأخرا في الليل فيجده نائما ، وتمر عدة أيام دون أن يجلس ويلهو معه ، **انظر ماذا قال :**

أنا قادم لك يا بني وحق طهرك لا تنم

لا تحرمنَّ أباك من فمك الشهي إذا ابتسم

حلواك تلك أضمها في لهفة بيديّ ضم

أسعى إليك، وكل خافقةٍ بجنبي تضطرم

فلعلني ألقى صياحك يملأ الدنيا نغم

فأطير من فرحي وأنسى الهم أنسى كلَّ هم

ولكم تعبتُ وكم شقيتُ،وكم شبعت من الألم

وعلى نداك الحلو ترتاح الجراح وتلتئم

مناسبة خاصة مغرقة في الخصوصية لكن فيها الصدق، وليس من حق أي ناقد أن يرفضها ، يحكم بعدم جودتها، أو يخرجها من دائرة الشعر .

وقد رفض أنصار جماعة الديوان شعر المناسبات وحكموا عليه بفتور العاطفة ، وعابوا على شعراء المدرسة الكلاسيكية أنهم شعراء مناسبات، وأطلق عليم اسم (الشعراء الندابون) وأنهم أولئك النفر الذين يقفون في تحفز لرثاء كل ميت من ذوي الوجاهة والمكانة، كالنادبة التي ترى الندابة عملاً لها، وتحرص عليه كل الحرص، وتخلص له كل الإخلاص. ويصف العقاد خلة الحرص فيهم، فيقول: " ما أبرع هؤلاء الشعراء والأقلام في أيديهم، والمحابر أمامهم، وهم جلوس على أهبة واستعداد كالتلاميذ في يوم امتحان الإملاء. ويصل بهم الحد إلى أنهم أدخلوا على الناس أن الشاعر والمغسل والحفار وقارئ السورة رصفاء يتعاقدون لئلا يسبق أحدهم صاحبه إلى المآتم والجنازات" ويبين أنهم يفرغون من رثاء امرىء ليقوموا إلى رثاء آخر ، وربما بنفس القصيدة ، مع تغيير مايتناسب.

وعجيب الأمر أن العقاد نفسه أقدم على شعر المناسبات حين رثى الشاعرة مي زيادة في القصيدة التي **قال فيها** :

أين في المحفل "مي" يا صحابْ ؟

عودتنا ها هنا فصل الخطاب

عرشها المنبر مرفوع الجناب

مستجيب حين يُدعى مستجاب

أين في المحفل "مي" يا صحاب ؟

سائلوا النخبة من رهط النديّ

أين ميَ ؟ هل علمتم أين الندى مي ؟

الحديث الحلو واللحن الشجي

والجبين الحر والوجه السني

أين ولى كوكباه؟ أين غاب ؟

شـيم غــرّ رضيـــــات عـــــــذاب
وحجـــي ينفـــذ بـــالرأي الصـــواب
وذكـــــــاء ألمعـــي كالشـــهاب
وجــمـــــــال قــــدسي لا يعـــاب
كــل هــذا في الــتراب. آه مــن هــذا الــتراب
ويـــك مـــا أنــت بــراد مـــا لديـــك
أضـيع الآمــــــال مـــا ضـاع عليـــك
مجـــــد مــي غـــير موكـــول إليـــــك
مجـــــد مــي خالـــص مــن قــبضتيـــك
ولهـــا مــن فضلهـــا ألــف ثـــواب
أيــن في المحفــل "مــي" يــا صحــــابْ ؟
عودتنــا هـــا هـــنا فصـــل الخطـــــاب
عرشهـــــــا المنــبر مرفـــوع الجنـــاب
مســتجيب حــين يُـــدعى مســتجـــاب
أيــن في المحفــل "مــي" يــا صحــــاب ؟

كما رثى محمود فهمي النقراشي إثر اغتياله في ديسمبرعام 1948م استمع إليه **يقول :**

أســـــفي أن يكـــون رثــائي	كلــم عـــابر ورجـــع بكـــــاء
مارثـــاء الــــحزين غــــير تعـــلا	ت ومـــاالنوح غـــير نفـــث هـــواء
ليتنـــي أخـــرس الـفــــناء لســـاني	قـــبل يـــوم أشـــقى لـــه مـــن فنــائي
ماوفاء بذل الـدمـــوع من الحــــزن	عـــلى مـــن وفّى ببـــذل الـــدماء
كـــم رأينـــا غــدرا ولامـــن عُـــداة	وشهـــدنا حربـــا ولامـــن عـــداء

ظلـمات تقودهـا خبـط عـــشوا ء ووبـــــل لـخـــابط الـعـشــــواء
أتصـم الآذان عـن صـادق النصـح وتصـــغي طـــوعا لكـل افـــتراء
أمـــة في الشــقاء مـــن معتـــدٍ فيهـا علـــيها ومـــن صريـــع اعــتـــداء
أعــجـز الـعـاجــزيـن يـقـوى عــلى إيـذائـهـــــا غـايـــة الإيـــــذاء
والقــديرون يشــتكون مــن العجــز إذا مـــهـــدوا لـــهــا بالـــــدواء
كيـف كيـف النجـاء مـن هـــذه الـمـحـنـة بل أين حــق الـنـجـاء؟
إن حزني حزن على هـذه الأمـــة رفـقـــا بـهـــا إلـه الســماء
قُـلـــبت آيـة الـحـقـائق فـيهـــا وقـــضى ســـفلها عـلى الـعـظـمـــاء
غيلـة الـمـــوت للغـــيور علـــيها وقـضـاء الـحـيـــاة للـجـــهـــلاء
وقضـــاء الجهـــول أوخـــم عقبـــى مـن قضـاء الـبهـيمة الـعـجـمـاء
فتنـــة تعـــمه الـــبصائر فـيهـــا وتـــضل العـقـــول في تـيـــهـــاء
إن أبينا البقاء حقا لمحمـــــــــود فـمـــن ذايُرجـى لطـول الــبقاء؟
فـــــنبئوني فـإنـــــي أنـــا والله عـــــزائي عـــيّ عــــــن الإنـبـاء
أي تلـك الخصـال مرمـى اغتيـال لـبني مـــصر بـل لـبـــني حــواء؟
أيُـغـــال الـحـــنان فـيـــه حـنانـا كـاد يحــصى مــــع الـضعـفـــاء؟
أم يُغـــال الحـــفاظ فيــه حـــفاظا يـتـحـدى جحافـل الأقـــــوياء؟
أم يُغال العـطـف أصـدق مـاكان عـفـافـــا في مـــستسر الـخـفـــاء؟
أم يُغـــال الزهـد الــذي حــار فيـه كل مُغـــر مــــن ســطـوة وثـــراء؟
أم تُغـــال الخلائـــق الزهـــر كانــت تـــتـــرقى إلى ذرى الأنـبـيـــــاء؟
أم يُغـــال الـــصبر الـطـــويل عـلى الجهـــد بـلا منّـــة ولاإعـيـــــاء؟
أم يُغال الجهاد في حـق مصـــر ويـح مـــصر مـــن تلـــكم الــنكراء؟
إن محمـــــودا الــــذي فـقـــدته واحـد لايـُقـــاس بالـنـــظــــراء

إن ضلوع أنصار جماعة الديوان ورؤيتهم أن شعر المناسبات زيف بعيـد عـن الشعر ، ومناداتهم بإخراجه من دائرة الشعر، ثم رجوعهم عما انتهجـوه ومـاأخـذوه على أنفسهم ليؤكد قول القائل(ماالشعر إلا مناسبة)

وهبك ستكتب في موضوع ما، أليس مجرد قصدك الموضوع وتحديده مناسبة؟

أنا لاأقول هذا دفاعا عن شعر المناسبات – حتى لايظن ذلك ظـان – لكننـي أريدوضع الأمور في نصابها ، ولاأقر إلا ماأقتنع به .

ولقد عاب كثير من النقاد على شعرنا الجاهلي – وأعني المعلقـات بالـذات – مدعين أنها من قبيل المناسبات، وأنها تفتقر إلى الوحدة العضوية، وأن اعتبار البيـت وحدة القصيدة يمزق شملها، ويبدد أواصر وحدتها العضوية، وهـذا – في رأيـي – خطأ كبير وقع فيه من نظّروا له، ومن تبعهم وسار على نهجهم بعد ذلك من أجيـال الناقدين اللاحقة، والذي أوقعهم في هـذا الخطـأ أنهـم قاسـوا ماكتـب الجـاهليون بمقياس عصرنا، والصواب أن يُقاس الشاعر بمقياس العصر الذي كان فيه .

الشاعر الجاهلي كان قوي اللغة فصـيحها ، يمتلـك ناصـية البيـان ، يعـن لـه الوزن الشعري بالسليقة قبل أن يحددها الخليل بن أحمد الفراهيدي ، فلم تكن تكفيه أبيات معدودات ، ولم يكن يكفيه غرض واحد ، وأمور حياته اليومية كثـيرة تغـري بالحديث ، يضاف إلى ذلك أن تمكنه وامتلاكه ناصية البيان حدا به أن يجعـل البيـت وحدة مستقلة بذاتها عما قبلها ومابعدها ، وهو ماأطلق عليه النقاد (البيـت وحـدة القصيدة).

وحين تتأمل المعلقات جميعها يلفت انتباهك مافيها من نهـج موحـد تلمحـه فيها جميعا منبداية بالغزل والبكاء على الأطلال ثم الانتقال إلى وصف ناقته وجواده ووصف رحلة صيد وافتخار بقبيلته واختتام القصـيدة بالحكمـة ، ولاتثريـب عـلى

الشاعر الجاهلي فيما انتهج وفقا لظروف بيئته ومقتضيات حياته ، وذائقته اللغوية وفصاحته التي فطر عليها ، وبلغ فيها شأوا بعيدا .

وقد كانت المناسبة بالنسبة للشاعر العربي فرصة يفرغ فيها أحاسيسه وخوالج نفسه، ويبرز من خلالها رؤيته إلى الذات والحياة والكون، وكانت المناسبة كذلك ، قالبا يصب فيه عصارة أفكاره وفلسفته، ولم يكن شعر المديح والهجاء والرثاء والشكوى والإخوانيات والطرديات والخمريات إلا نوافذ ومداخل يطل منها الشاعر على البيئة المحيطة به والكون من حوله .

وإذا كان النقاد يعيبون على شعرنا العربي القديم أنه شعر مناسبات فما بالك بأمة الإغريق واليونان التي كانت النصوص تلقى في مناسبات بعينها عندهم .

وكانالشعراء يتغنون بأمجاد الإمبراطورية الرومانية وانتصاراتها في الأمصار والأقطار، وأعياد الشعب الروماني فرحا وابتهاجا بها، وما زالت هذه الأشعار والأناشيد تراثا محتفظا بقيمته الأدبية إلى الآن رغم مرور مئات الأعوام تردده الأجيال وتتغنى به.

وكان الحال كذلك في الغرب في أوروبا؛ إذ ماتزال أعمال شكسبير الشهيرة حية تتناقلها الأجيال ، وهي أعمال كثيرة : (39 مسرحية و158 قصيدة قصيرة (سونيته) و(قصيدتين سرديتين طويلتين) ....كما ترجمت مسرحياته وأعماله إلى كل اللغات الحية ...).[1]

وقدأخذ شكسبير موضوعات قصائده ومسرحياته من الواقع ومما يجري بين الناس ومايكون من مناسبات، فكان أدبا عالميا ينظر إليه بعين الاعتبار .

وليس معنى ذلك أن شعرنا القديم كله شعر مناسبات ، ففيه التأملات في الحياة والموت ،وهي تأملات نابعة من الدراية والخبرة بالحياة وغاية الإنسان فيها، وانظر إلى فلسفة أبي العلاء المعري ورأيه في الحياة ، **يقول:**

---

[1]- منير البعلبكي ،موسوعة المورد، ، دار نظير عبود ، بيروت ،1991.

غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي … نوح باكٍ ولا ترنم شاد

وشبيهٌ صوت النعيّ إذا قِيس … بصوت البشير في كلّ ناد

أبَكَت تلكم الحمامة أم غنّت … على فِرْعِ غُصنِها الميّاد

صاحِ هذي قُبورُنا تملأ الرُحبَ … فأين القبور من عهد عاد؟

خفّف الوَطْءَ ما أظنّ أَدِيْمَ … الأرض إلا من هذه الأجساد

وقبيحٌ بنا وإنْ قَدُم العهدُ … هوانُ الآباء والأجداد

سِرْ إن اسطعت في الهواءِ رُوَيداً … لا اختيالاً على رُفات العباد

رُب لحدٍ قد صار لحداً مراراً … ضاحكٍ من تزاحم الأضداد

ودفينٍ على بقايا دفين في … طويل الأزمان والآباد

تعبٌ كُلّها الحياةُ فما أعجبُ … إلا من راغبٍ في ازدياد

إنّ حزناً في ساعة الموت أضعاف … سرورٍ في ساعة الميلاد

خُلق الناس للبقاء فضلّت … أمّة يحسبونهم للنّفاد

إنّما يُنقَلون من دار أعمالٍ … إلى دار شِقوة أو رَشَاد

ضَجعة الموتِ رَقْدَةٌ يستريح … الجسمُ فيها والعيْشُ مثلُ السُّهاد

ثم ينتقل إلى رثاء صاحبه أبي حمزة الفقيه رثاء فيه انكسارشديد، وألم لفراقه، يقول:

قصد الدهر من أبي حمزة الأوّا ب

مولى حِجىً وخدن اقتصاد

وفقيهاً أفكاره شدن للنُّعمانِ

ما لم يشدُهُ شعر زياد

وخطيباً لو قام بين وحوش

علّم الضاريات بِرّ النِّقاد

19

راويـاً للحـديث لم يحـوج المعــروف

مـــن صـــدقـــه إلى الأســـــناد

أنفق العمـر ناســكاً يطلـب الـعلـم

بكشـــفٍ عـــن أصـله وانـتـقـــاد

ودّعــا أيهــا الحفيّــان ذاك الـــشخص

إنّ الــــوداع أيـســـــــر زاد

واغســلاه بالــدمع إن كــان طهــــراً

وادفـــنــــاه بـين الـــحشى والفـؤاد

واتلــوَا الــنعش بــالقراءة والتســبيح

لا بالـــنــحـــيب والـعـــــــداد

كــيــف أصبحــــت في مَـــحلـــّك

بعـدِي ياجـديراً منّـي بحُسْــنِ افتِقـاد؟

قـــد أقـــرّ الطبيب عنـك بعجــزٍ

وتـقـــضّى تَـــرددُ الـعــــــوّاد

وانـــتهى الــيأسُ مـــنكَ واستشعـــر

الـوجــد بـأن لامعـادَ حتّـى الـمعـــادِ

واللبيـــبُ اللبـــيبُ مـــــن لـيـــس

يغـتـــرُّ بـكـــونٍ مـــصيره للفســاد

هذه تأملات إنسان متعقّل خبر الحياة وعركها ،وكان وفيا للأصدقاء. والأمر نفسه في شعرنا الحديث، فهو لايكاد يخلو من شعر المناسبات:

ابتداء من محمود سامي البارودي رائد التجديد في العصر الحديث ووصـولاً إلى نزار قباني، ومابينهما من أجيال كثيرة من الشعراء.

وشعر البارودي معظمه قيل في مناسبات، ومع ذلك لانمل من قراءة ماكتب ونتغنى به ونردده كلما عنت مناسبة أو جاء ذكر البارودي وقد ظهر شعر المناسبات في العصر الحديث في صور وأشكال أخرى، تختلف عن تلك التي كان يتخذها الشاعر العربي القديم، وهي صور وأشكال فرضتها طبيعة العصر ومافيه من ظروف تختلف عن ذي قبل.

وشاعر كالشاعر المهجري الكبير إيليا أبو ماضي تجد كثيرا من قصائده الرائعة التي مازلنا نرددها ونشدو بها قيلت في مناسبات، مع أنه من المعدودين بين الشعراء المجددين في الشكل والمحتوى.

حتى شعراء المدرسة الواقعية أو مدرسة الشعر الحر لم يخل شعرهم من المناسبات خذ لذلك مثلاً: بدر شاكر السياب كانت بعض قصائده الشعرية تنتمي إلى شعر المناسبات وتلتصق بها إلى أبعد حد، ولم يتخلص الشاعر من هذه النزعة بصفة نهائية إلا بعد إصابته بالشلل في أواخر حياته، فأصبح شعره ذاتيا صرفا، معبرا عن ذاته المتألمة وواقعه المليء بالأسى والحزن.

وكذلك الرائع نزار قباني كتب أكثر ماكتب في مناسبات، وغيره كثيرون من شعراء مازال شعرهم يقطر بيننا الآن .

وخلاصة القول أن شعر المناسبات ليس شرا كله ، فالمناسبات الدينية والوطنية لانستطيع القول فيها بأن العاطفة غير صادقة ، لأن الشعور الديني لايتغير ولايتبدل وكثير من شعر المدح – برغم كونه في مناسبة – إلا أننا لانرفضه وكذلك المراثي ، أما شعر الألغاز والأحاجي ومايقال في مجال التعليم فهو لايخرج عن كونه نظماً.

وكلامنا هذا ليس بجديد فقد نادى به بعض المعتدلين من النقاد ، ونحن نقوله هنا لنؤكد ماقال به شيوخنا وأساتذتنا الأجلاء .

نماذج
من شعر المناسبات

أبيات كانت سبباً في نجاة صاحبها

أحكم وضع اللثام على وجهه ، أخفى معالمهفي عمامة كبيرة أحكم لفها على وجهه حتى لم يعد يبدومنه إلا العينين،وسار مع السائرين متجها إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اندسَّ وسط المسلمين المقبلين على المسجدلأداء صلاة الصبح، بينما هو ترتعش أوصاله ويرتعد من شدة الخوف، ولم لايخاف وهو مقبل على اختبار قاس لن تُنجيه منه إلا موهبته الشعرية، التي لطالما أنصفته وأعلت من قيمته بين قومه، فهل ستنقذ رقبته الآن؟

أدى الصلاة مع المصلين وانتحى جانبا في حذر شديد وانتظر حتى فرغ الرسول صلى الله عليه وسلم من الصلاة، وأخذ نفسًا عميقًا معتقدا في نفسه أنه ربما يكون النفس الأخير ، واقترب من الرسول في وجل شديد ، ثم حسر العمامة عن وجهه، وكان النبي لا يعرف شكله، جلس بين يديه وقال له متضرعًا: «هذا مقام العائذ بك يا رسول الله، أنا كعب بن زهير»، وما أن نطق بِاسمه حتى اندفع واحد من الأنصارمشهراً سيفه في ثورة وغضب طالبًا الإذن من النبي أن يضرب عنق هذا الرجل، إلا أن الشاعر المخضرم كان بجعبته ما يمكن تقديمه للرسول أكثر من تلمس العفو ، فانتصب واقفا من فوره في حذر وترقب وسط القوم وراح ينشد:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ ... مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُفدَ مَكبولُ

وهو لايدري بأن قصيدته هذه ستطبق الآفاق وترددها الألسن إلى أن يرث الله الأرض وماعليها ، **ثم تابع الإنشاد قائلاً:**

لَقَد أَقومُ مَقامًا لَو يَقومُ بِهِ ... أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسمَعُ الفيلُ

لَظَلَّ يُرعَدُ إِلّا أَن يَكونَ لَهُ ... مِنَ الرَسولِ بِإِذنِ اللهِ تَنويلُ

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللهِ أَوعَدَني ... وَالعَفُو عِندَ رَسولِ اللهِ مَأمولُ

مَهلًا هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ الـ قُـرآنِ فيهـا مَـواعيظ وَتَفصـيلُ

يَسعى الوُشـاةُ بِجَنبَيها وَقَـولُهُم إِنَّـكَ يَـا بـنَ أَبي سُـلمى لَمَقتـولُ

وَقـالَ كُـلُّ خَليـلٍ كُنـتُ آمُلُـهُ لا أُلفِيَنَّـكَ إِنّي عَنـكَ مَشـغولُ

وظل ينشد في وجل وفرَق تختلط في نفسه مشاعرالانتقام والخوف من القتـل بعد أن تخلى الناس عنه فيه مخاوفه بتخلي الناس عنـه وهـذا الـذي ولـد في خـاطره قصيدته الخالدة ، وتوجه بها إلى المدينة، حيث أنشدها في حضرـة النبـي بعـد صـلاة الصبح، وبلغ من إعجاب النبي صلى الله عليه وسلم بها أن أشاد بكعب وظل يومئ بعلامات الرضا بما يسمع، إلى أنشد البيت القائل :

إِنَّ الرَسـولَ لَنـورٌ يُستَضـاءُ بِـهِ مُهَنَّـدٌ مِـن سُـيوفِ اللهَ مَسـلولُ

وهو يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم سـيف بتـار سـلَّه الله في وجـه أعدائه، وأنه يقود أتباعه للخير ويضيء الطريق أمامهم ، ويأخذ بأيديهم إلى الرشـاد والفلاح في حياتهم .

وما أن أنشد زهير بصوته المعبر هذا البيت على مسـامع المسـلمين الحـاضرين حتى ألقى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بردته، وتجاوز عما ارتكـب مـن جـرم في حق المسلمين والمسلمات وعفا عنه تكريمًا له وصيانةً لدمه.

أسرع وطِر إليه، إنه لا يقتل تائبًا

في مناسبة هذه القصيدة المشهورة يروي المؤرخـون وتـروي كتـب الأدب أن جبير بن زهير أخو كعب سبقه إلى الإسلام، بينما ظل كعب على وثنيتـه، ولم يكتـف بذلك بل انتقد تصرف أخيه فبعث إليه أبياتًـا يلومـه فيهـا عـلى دخولـه الإسـلام، ويتعرض فيها للنبي صلى الله عليه وسلم ولنساء المسلمين متناولا أعراضهم بهجاء مقذع، ولما علم الرسول بأمر هذه الأبيات أهدر دمه، قـائلًا لأصـحابه: «مـن لقـي منكم كعبًا فليقتله»، خاف جبير على أخيه، فبعث له رسالة يُطالبه فيها بالقدوم على

النبي، وطلب الصفح منه، قائلًا له: "إن كانت لك في نفسك حاجة فطر إليه، فإنه لا يقتل أحدًا جاءه تائبًا"

لما انتشر وعيد الرسول له في أرجاء الجزيرة أبت قبيلة كعب أن تجيره،فاسودت الحياة في وجههوضاقت عليه الأرض بما رحبت، فكان ذلك باعثا له فأبدع قصيدته"بانت سعاد" التي طبقت الآفاق.

بالرغم من أن اسمها الأصلي هو (بانت سعاد)إلا أنها عرفت بين المهتمين بالأدب ونقاده واشتهرت بلقب آخر هو (البردة)؛ بسبب ارتباطها بمنح النبي صلى الله عليه وسلم بُردته له تقديرًا لكلماته المادحة التي أنقذت رقبته ، وأبقت حياته .

والشاعر صاحب هذه القصيدة هو:

كعب بن زهير بن أبي سلمى، وأبو سلمى هو ربيعة بن رباح المزني (نسبة إلى مزينة إحدى قبائل مضر)، أما أمه فهي كبشة بنت عامر بن عدي بن سحيم، تزوجها زهير ثم نزل فيهم هو وأهل بيته، وكانت منازلهم في نجد.

ويروي المؤرخون "أن الشعر لم يتصل في ولد أحد فحول شعراء الجاهلية قدر اتصاله في ولد زهير، فكعب وأبوه زهير وجده أبو سلمى، وعمتاه سلمى والخنساء (غير الخنساء تماضر أخت صخر)، وخال أبيه بشامة بن الغدير، وابنة عمته الخنساء (تماضر) وأخوها صخر، وأخوه بجير، هؤلاء كلهم شعراء" ، وفي هذه البيئة التي تفيض إلهامًا ترعرع كعب، فسمع الشعر طفلًا ورواه ناشئًا وقاله شابًّا. **تقول أبيات القصيدة** : قصيدة بانت سعاد (البردة)

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ	**مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُفدَ مَكبولُ**
وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا	**إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ**
هَيفاءُ مُقبِلَةً عَجزاءُ مُدبِرَةً	**لا يُشتَكى قِصَرٌ مِنها وَلا طولُ**
يا وَيحَها خُلَّةً لَو أَنَّها صَدَقَت	**ما وَعَدَت أَو لَو أَنَّ النُصحَ مَقبولُ**

لَكِنَّها خُلَّةٌ قَد سيطَ مِن دَمِها فَجعٌ وَوَلعٌ وَإِخلافٌ وَتَبديلُ

فَما تَدومُ عَلى حالٍ تَكونُ بِها كَما تَلَوَّنُ في أَثوابِها الغولُ

وَما تَمَسَّكُ بِالوَصلِ الَّذي زَعَمَت إِلّا كَما تُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ

كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً وَما مَواعيدُها إِلّا الأَباطيلُ

فَلا يَغُرَّنَكَ ما مَنَّت وَما وَعَدَت إِنَّ الأَمانِيَ وَالأَحلامَ تَضليلُ

أَمسَت سُعادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ

يَسعى الوُشاةُ بِجَنبَيها وَقَولُهُم إِنَّكَ يا بنَ أَبي سُلمى لَمَقتولُ

وَقالَ كُلُّ خَليلٍ كُنتُ آمُلُهُ لا أُلفِيَنَّكَ إِنّي عَنكَ مَشغولُ

فَقُلتُ خَلّوا سَبيلي لا أَبا لَكُمُ فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَحمَنُ مَفعولُ

كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ يَوماً عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللهَ أَوعَدَني وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللهَ مَأمولُ

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ الـ ـقُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ

لا تَأَخُذَنّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَم أُذِنب وَلَو كَثُرَت عَنّي الأَقاويلُ

لَقَد أَقومُ مَقاماً لَو يَقومُ بِهِ أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسمَعُ الفيلُ

لَظَلَّ يُرعَدُ إِلّا أَن يَكونَ لَهُ مِنَ الرَسولِ بِإِذنِ اللهَ تَنويلُ

مازِلتُ أَقتَطِعُ البَيداءَ مُدَّرِعاً جُنحَ الظَلامِ وَثَوبُ اللَيلِ مَسبولُ

حَتّى وَضَعتُ يَميني لا أُنازِعُهُ في كَفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُهُ القيلُ

لَذاكَ أَهَيبُ عِندي إِذ أُكَلِّمُهُ وَقيلَ إِنَّكَ مَسبورٌ وَمَسؤولُ

مِن ضَيغَمٍ مِن ضِراءَ الأُسـدِ مُخدِرَةً　　بِـــبَطنِ عَثَّـــرَ غيـــلٌ دونَـــهُ غيـــلُ

إِنَّ الرَسـولَ لَنـورٌ يُستَضـاءُ بِـهِ　　مُهَنَّـدٌ مِـن سُـيوفِ اللهَ مَسـلولُ

في عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قـالَ قـائِلُهُم　　بِـبَطنِ مَكَّـةَ لَمّـا أَسَـلَموا زولـوا

زَالوا فَمازالَ أَنكـاسٌ وَلا كُشُـفٌ　　عِنـدَ اللِقـاءِ وَلا ميـلٌ مَعازيـلُ

شُـمُّ العَـرانينِ أَبطـالٌ لَبوسُـهُمُ　　مِـن نَسـجِ داوُدَ في الَهيجـا سَرابيـلُ

بيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّت لَها حَلَـقٌ　　كَأَنَّهـا حَلَـقُ القَفعـاءِ مَجـدولُ

يَمشون مَشيَ الجِمالِ الزُهرِ يَعصِمُهُم　　ضَربٌ إِذا عَـرَّدَ السـودُ التَنابيـلُ

لا يَفرَحونَ إِذا نالَت رِماحُهُمُ قَومـاً　　وَلَيســوا مَجازيعــاً إِذا نيلــوا

لا يَقَـعُ الطَعـنُ إِلّا في نُحـورِهِمُ　　ما إِن لَهُم عَن حِياضِ المَـوتِ تَهليـلُ

وتبقى كلمة نبرزها في هذا المجال تتمة لمناسبة هذه اقصيدة الشـهيرة ، وهـي تتعلق بإهدار النبي محمد صلى الله عليه وسلم دم كعب بـن زهـير ، فـما كـان القتـل وإزهاق الأرواح في نهج النبي محمـد صـلى الله عليـه وسـلم وهـو المبعـوث رحمـة للعالمين وتأليف قلوبهم والحفاظ على أرواحهم وماأثر عنه مـن إهـدار دم كعـب " لايخرج عن كونه مجرد تهديد وتخويف " .

وإذا قيل: (ولم قتل النبي محمدا صلى الله عليه وسـلم "أبـو عـزة الجمحـي"؟ فالجواب على ذلك أن هذا الشاعر أسر يوم "بدر" وطلب من النبي صـلى الله عليـه وسلم أن يمن عليه بالإطلاق لأنه ذو عيال ، وقد استجاب النبي له وأطلق سراحه، ولكنه ماكاد يصل إلى مكة حتى عاد إلى معاداة المسلمين والتحـريض عـلى قتـالهم ، وكان أن أسر في الحرب في يوم "أحد " ، وكانت عودته بالقول : " يارسول الله مـن علي" ، وكان أن رد النبي محمد صلى الله عليه وسلم قـائلا : " لايلسـع المـؤمن مـن جحر مرتين ، وأمر بقتله).[1]

---

[1]- دراسات في النص الشعري ، د/ عبده بدوي ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ط1، 1987م ، ص 56.

ميمية الفرزدق
في مدح زين العابدين بن علي بن الحسين

ومن القصائد التي نالت شهرة واسعة، وسار الناس بـذكرها عـبر الأجيـال ميمية الشاعر الفرزدق ؛ فقد حظيت بـاهتمام النّقّـاد والشّرّاح والمهتمـين بـالأدب والشعر والبلاغة ، حتى أن بعض الخطباء راح يردد وينشد بعض أبياتها على المنبر في خطبة الجمعة وغيرها من المناسبات الدينية .

ولميمية الفرزدق قصة هي:

يقول ابن خَلِّكان في وفيات الأعيان:

"لما حج هشام بن عبدالملك ، فطاف وجَهِد أن يصل إلى الحجر ليستلمه، فلم يقدر عليه من كثرة الزحام ، فنُصِب له منبر وجلس عليـه، ينظـر إلى النـاس ومعـه جماعة من أعيان أهل الشام وفيما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام، وكان من أحسن النـاس وجهـاً وأطيـبهم أرجـاً، فطاف بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر ، تنحّى لـه النـاس ، وانشـقت لـه الصـفوف، ومكّنته من استلام الحجر،فقال رجل من أهل الشام: "من هذا الـذي هابـه النـاس هذه الهيبة؟ فقال هشام: "لا أعرفه" (مخافة أن يرغب فيه أهل الشام)

وكان الفرزدق الشاعر حاضراً، فقال: أنا أعرفُه، **وأنشد يقول :**

هذا الذي تعـرف البطحـاء وطأتـه   والبيت يعرفـه والحـل والحـرم

وتلا القصيدة كاملة على مسامع الحاضرين، وقد علا وجوههم الإعجاب.

لما سمع هشام هذه القصيدة ، غضب وحبس الفرزدق ، فأنفذ إليه الإمام علي بن الحسـين عشـــرين ألـف درهـم جـائزة لـه فردّهـا وقـال: "مـدحتُكم لله تعـالى لا للعطاء".

فقال الإمام: (إنّا أهل البيت، إذا وهبنا شيئًا لا نستعيده، فقَبِلها).

والقصيدة وإن كانت مناسبتها تخص الإمام زين العابدين إلا أنها تشمل النبي صلى الله عليه وسلم وماله من كـريم الصـفات وحلـو السـمات ورائـع الكرامـات وتشـمل الحـديث عــن أهــل البيــت ، ومــالهم نســب شريــف ، وذكــر لطيــف والفرزدق هو: **همّام بن غالب بن صعصعة، يُكنّى بـأبي فـراس، ولُقّـب بـالفرزدق لضخامة وتجَهُّم وجهه، وتعني هذه الكلمة الرغيف.**

ولد في البصرة 641م ونشأ فيها، أبوه غالب سيّد بني تميم، وأمـه لـيلى بنـت حابس، أخت الصحابيّ الأقرع بن حابس الذي يُعدّ من سادات العرب في الجاهلية، ترعرع في البادية فأخذ صفات أهلها من قوة الشـكيمة، وجلفـة الطبـاع، والتعـالي الممزوج بالشرف والأصل والكرم.

عاش حياته متنقّلاً بين الخلفاء والأمراء والخلفاء يمدح أحدهم ثـم يهجـوه، ثم يعود إلى مدحه مرة أخرى، كان شديد الحـبّ لآل بيـت رسـول الله محمـد عليـه السلام، مجاهراً بحبّهم، قوي العاطفة تجاههم، نظـم في هـذا الموضـوع الكثـير مـن القصائد، ولعل ميميّته في مدح علي بت الحسين هي أفضل مثال يُجسّد هذه العاطفـة التي بسببها غضب هشام بن عبد الملـك عليـه، فـأمر بحـبس حرّيتـه مـا بـين مكـة والمدينة، فلم يتورّع الفرزدق عن هجائه قائلاً:

أتحبســـني بـــين المدينـــة والتـــي إليها قلوب الناس يهوي منيبها

يقلــب رأســاً لم يكــن رأس ســيّدٍ وعــيناً له حولاء بـادٍ عــيوبها

عاش الفرزدق حياة طويلة قضى معظمها في الفجور، وتكشّفت لـه نـواحي الحياة المختلفة بحلاوتها ومرارها، حتّى إذا عصفت به لحظـات الزّهـد تنبّـه وهجـا إبليس، ثمّ سرعان ما يعود إلى ما كان عليه. مرض في آخر حياتـه وقـد قـارب المئـة عام. عُرف الفرزدق بشعر الهجاء ما بينه وجرير والأخطل، وهم من عُرفوا بشعراء النّقائض، وهو أن يقوم الشاعر بكتابة قصيدة يتفاخر فيها بقبيلته، ويُمجّدها، فيـأتي

الشاعر الآخر ليرد عليه بقصيدة وبنفس الوزن والقافية. تميّز شعر الفرزدق بفخامة العبارات، وقوّة الألفاظ، وكثرة غريب الشعر.

ويعد المؤرخون الفرزدق أفخر شعراء العرب؛لأن مواد الفخر اجتمعت فيه: فهو ذو نسب رفيع من أكبر قبائل العرب، ويملك همّة عظيمة كانت ظاهرة بشدّة في شعره.

تقول ميمية الفرزدق :

هَذا الّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأتَهُ ... وَالبَيْتُ يعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

هذا ابنُ خَيرِ عِبادِ الله كُلّهِمُ ... هذا التّقيّ النّقيّ الطّاهِرُ العَلَمُ

هذا ابنُ فاطمَةٍ، إنْ كُنْتَ جاهِلَهُ ... بِجَدّهِ أنْبِيَاءُ الله قَدْ خُتِمُوا

وَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَن هذا؟ بضَائرِه ... العُرْبُ تَعرِفُ من أنكَرْتَ وَالعَجمُ

كلتا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفعُهُمَا ... يُسْتَوْكَفانِ، وَلا يعرُوهُما عَدَمُ

سَهْلُ الخَلِيقَةِ، لا تُخشى بَوَادِرُهُ ... يَزِينُهُ اثنانِ: حُسنُ الخَلقِ وَالشّيمُ

حَمّالُ أثقالِ أقوَامٍ، إذا افتُدِحُوا ... حُلْوُ الشّمائلِ، تَحلُو عندَهُ نَعَمُ

ما قالَ: لا قطُّ، إلاّ في تَشَهُّدِه ... لَوْلا التّشَهّدُ كانَتْ لاءَهُ نَعَمُ

عمّ البَرِيّةَ بالإحسانِ، فانْقَشَعَتْ ... عَنْها الغَياهِبُ والإمْلاقُ والعَدَمُ

إذ رَأتْهُ قُرَيْشٌ قال قائِلُها: ... إلى مَكَارِمِ هذا يَنْتَهِي الكَرَمُ

يُغْضِي حَياءً، وَيُغضَى من مَهابَتِه ... فَمَا يُكَلَّمُ إلاّ حِينَ يَبْتَسِمُ

بِكَفّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ ... من كَفّ أرْوَعَ، في عِرْنِينِهِ شَمَمُ

يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جَاءَ يَستَلِمُ

الله شَرّفَهُ قِدْماً، وَعَظّمَهُ ... جَرَى بِذاكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلَمُ

أيُّ الخَلائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمُ ... لأَوّلِيَّةِ هَذا، أَوْ لَهُ نِعَمُ

مَن يَشكُرِ اللهَ يَشكُرْ أَوّلِيّةَ ذا ... فالدِّينُ مِن بَيتِ هذا نَالَهُ الأُمَمُ

يُنمى إلى ذُرْوَةِ الدّينِ التي قَصُرَتْ ... عَنها الأكفُّ، وعن إدراكِها القَدَمُ

مَنْ جَدُّهُ دان فَضْلُ الأنْبِياءِ لَهُ ... وَفَضْلُ أُمّتِهِ دانَتْ لَهُ الأُمَمُ

مُشْتَقّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ نَبْعَتُهُ ... طَابَتْ مَغارِسُهُ والخِيمُ وَالشِّيَمُ

يَنْشَقّ ثَوْبُ الدّجَى عن نورِ غرّتِهِ ... كالشمس تَنجابُ عن إشرَاقِها الظُّلَمُ

من مَعشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ كُفْرٌ ... وَقُرْبُهُمُ منجىً وَمُعتَصَمُ

مُقَدَّمٌ بعد ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ ... في كلِّ بَدْءٍ، وَمَختومٌ به الكَلِمُ

إنْ عُدّ أهْلُ التّقَى كانوا أئِمّتَهمْ ... أوْقيل:من خيرُأهل الأرْض؟ قيل: هم

لا يَستَطيعُ جَوَادٌ بَعدَ جُودِهِمُ ... وَلا يُدانِيهِمُ قَوْمٌ، وَإنْ كَرُمُوا

هُمُ الغُيُوثُ، إذا ما أزْمَةٌ أزَمَتْ ... وَالأُسدُ أُسدُ الشّرَى وَالبأسُ محتدمُ

لا يُنقِصُ العُسرُ بَسطاً من أكُفّهِمُ ... سِيّانِ ذلك: إن أثَرَوْا وَإنْ عَدِمُوا

يُستَدْفَعُ الشرُّ وَالبَلْوَى بحُبّهِمُ ... وَيُسْتَرَبّ بِهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَمُ[1]

---

[1]- ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدّم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1987، ص5-10.

فارس يرثي نفس

مالك بن الريب التميمي

"شاعر مجيد مقل، كان قاطعا للطريق، طلب منه أمير خراسان -حفيد الصحابي عثمان بن عفان- أن يتوب ويستصحبه فأطاعه وحسنت سيرته حتى قتل في غزو، وقد قال قبل موته يرثي نفسه بعدما عاد إلى وادى الغضى في نجد مسكن أهله وكان قد مرض مرضا شديدا :

كان مالك شابا شجاع فاتكاً لا ينام الليل إلا متوشحاً سيفه ولكنه استغل قوته في قطع الطريق هو وثلاثة من أصدقائه، لازم شظاظ الضبي الذي قالت عنه العرب ألص من شظاظ.

ذات يوم مر عليه سعيد بن عثمان بن عفان -إبن الصحابي عثمان بن عفان -رضي الله عنه- - وهو متوجه لإخماد فتنة في تمرّد بأرض خُرسان فأغراه بالجهاد في سبيل الله بدلاً من قطع الطريق، فاستجاب مالك لنصح سعيد فذهب معه وأبلى بلاءً حسناً وحسنت سيرته وفي عودته بعد الغزو وبينما هم في طريق العودةمرض مرضاً شديداًأو يقال أنه لسعته أفعى وهو في القيلولة فسرى السم في عروقه وأحس بالموت فقال قصيدة يرثي فيها نفسه.

وصارت قصيدته تعرف ببكائية مالك بن الريب التميمي.

تقول أبيات القصيدة :

ألا ليتَ شِعري هل أبيتنَّ ليلة	**بوادي الغضَى أُزجي القِلاصَ النواجيا**
فَليتَ الغضى لم يقطع الركبُ عرْضَه	**وليت الغضى ماشى الرِّكاب لياليا**
لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى	**مزارٌ ولكنَّ الغضى ليس دانيا**
ألم ترَني بِعتُ الضلالةَ الهدى	**وأصبحتُ في جيش ابن عفّانَ غازيا**

وأصبحتُ في أرض الأعاديَّ بعد ما … أرانيَ عن أرض الآعاديّ قاصِيا

دعاني الهوى من أهل أُودَ وصُحبتي … بذي (الطِّبَّسَيْنِ) فالتفتُّ ورائيا

أجبتُ الهوى لـمّا دعاني بزفرةٍ … تقنَّعتُ منها أن أُلامَ ردائيا

أقول وقد حالتْ قُرى الكُردِ بيننا … جزى اللهُ عَمرًا خيرَ ما كان جازيا

إنِ اللهُ يُرجعني من الغزو لا أُرى … وإن قلَّ مالي طالِبًا ما ورائيا

تقول ابنتيْ لّما رأت طولَ رحلتي … سِفارُكَ هذا تاركي لا أبا ليا

لعمريْ لئن غالتْ خراسانُ هامتي … لقد كنتُ عن بابَي خراسان نائيا

فإن أنجُ من بابَي خراسان لا أعدْ … إليها وإن منَّيْتُموني الأمانيا

فللهِ دَرِّي يوم أتركُ طائعًا … بَنيّ بأعلى الرَّقمتَينِ وماليا

ودرُّ الظبَّاء السانحات عشيةً … يُخَبّرنَ أنّي هالك مَنْ ورائيا

تذكّرتُ مَنْ يبكي عليَّ فلم أجدْ … سوى السيفِ والرمح الرُّدينيِّ باكيا

وأشقرَ محبوكًا يجرُّ عِنانه … إلى الماء لم يترك له الموتُ ساقيا

ولكنْ بأطرف (السُّمَيْنَةِ) نسوةٌ … عزيزٌ عليهنَّ العشيةَ ما بيا

صريعٌ على أيدي الرجال بقفزة … يُسَوُّون لحدي حيث حُمَّ قضائيا

ولـمّا تراءتْ عند مَروٍ منيتي … وخلَّ بها جسمي، وحانتْ وفاتيا

أقول لأصحابي ارفعوني فإنّه … يَقَرُّ بعينيْ أنْ (سُهَيْلٌ) بَدا لِيا

فيا صاحبَيْ رحلي دنا الموتُ فانزِلا … برابيةٍ إنّي مقيمٌ لياليا

أقِيمَا عليَّ اليوم أو بعضَ ليلةٍ … ولا تُعجلاني قد تَبيَّن شانِيا

وقُومَا إذا ما استلَّ روحي فهيِّئَا ... لِيَ السِّدْرَ والأكفانَ عند فَنائيا

وخُطَّا بأطراف الأسنّة مضجَعي ... ورُدّا على عينيَّ فَضْلَ رِدائيا

ولا تحسداني باركَ اللهُ فيكما ... من الأرض ذات العرض أن تُوسِعا ليا

خذاني فجرّاني بثوبي إليكما ... فقد كنتُ قبل اليوم صَعْبًا قِياديا

وقد كنتُ عطّافًا إذا الخيل أدبَرتْ ... سريعًا لدى الهيجا إلى مَنْ دعانيا

وقد كنتُ صبّارًا على القِرْنِ في الوغى ... وعن شَتْميَ ابنَ العَمِّ وَالجارِ وانيا

فَطَوْرًا تَراني في ظِلالٍ ونَعْمَةٍ ... وطَوْرًا تراني والعِتاقُ رِكابيا

ويومًا تراني في رحًا مُستديرةٍ ... تُخرِّقُ أطرافُ الرِّماح ثيابيا

وقُومَا على بئر السُّمَينة أسمِعا ... بها الغُرَّ والبيضَ الحِسان الرَّوانيا

بأنّكما خلفتُماني بقَفْرةٍ ... تَهِيلُ عليّ الريحُ فيها السّوافيا

ولا تَنْسَيا عهدي خليليَّ بعد ما ... تَقَطَّعُ أوصالي وتَبلى عِظاميا

يقولون: لا تَبْعَدْ وهم يَدْفِنونني ... وأينَ مكانُ البُعدِ إلا مَكانيا

غداةَ غدٍ يا لهْفَ نفسي على غدٍ ... إذا أذْلجُوا عنّي وأصبحتُ ثاويا

وأصبح مالي من طَريفٍ وتالدٍ ... لغيري، وكان المالُ بالأمس ماليا

فيا صاحبًا إمّا عرضتَ فبلِّغن ... نداماي من نجران أن لا تلاقيا

أقلبُ طرفي حول رحلي فلا أرى ... به من عيون المُؤنساتِ مُراعيا

وبالرمل منّي نسوة لو شَهِدْنَني ... بكينَ وفَدَّين الطبيبَ المُداويا

فمنهنّ أمي وابنتايَ وخالتي ... وباكيةٌ أخرى تَهيجُ البواكيا

وما كان عهدُ الرمل عندي وأهلِهِ ... ذميمًا ولا ودّعتُ بالرمل قاليا

هذه مناسبة، شعر فيها الفارس الشاعر أن أجلـه قـد اقـترب بعـد أن لدغتـه الأفعى وشعر بدبيب السم يسري في أوصاله ، كتـب هـذه الأبيـات يحـن إلى وادي الغضا، ويسترجع ذكرياته وهو يقاتل تارة ، ويرتحل عن دياره تارة أخرى ، وعندما بلغت الروح الحلقوم طالب رفاقه أن يحفرا قبره بأسنة الرماح التي اعتاد عليها وهو الفارس الذي لايشق له غبار، وطلب منهم أن يجـروه بـبرده فقـد كـان قبـل اليـوم بصعب قياده والسيطرة عليه ، ويتلفت حولـه فلـم يجـد مـن يبكيـه سـوى جـواده المطهم، وسيفه البتار ورمحه الرديني ، وهناك نسوة لو علمن بـما جـرى معـه لبكـين أشد البكاء هن أمه وابنتاه وخالته وزوجته ، ويختم القصيدة بأنه مازال عـلى العهـد باقيا برغم دنو أجله وقرب منيته .

والمسلم به أننا نلمح صدق الإحساس برغم أن القصيدة من شعر المناسـبات ، فلله در القائلين بزيف هذا النوع من الشعر !!

واحر قلباه

المتنبي

هو أبو الطيّب أحمد بن الحسين المتنبي الكندي، ولد في الكوفة في محلّة تـدعى كندة التي تعود نسبته إليها وذلك عام 915م، يعدُّ من أشهر الشـعراء العـرب عـلى الإطلاق، قال الشعر في سنٍّ مبكّرة، وقد قيل أنه تنبأ في مكان يدعى باديـة السـماوة فتبع كلامه الكثيرون، حتّى تبعه أمير حمص وقـبض عليـه وسـجنه، كانـت نشـأته الأولى في الشام ثم انتقل للبادية ليتعلم اللغة والأدب، وقد كان بين المتنبـي وسـيف الدولة الحمداني علاقة مميزة جدًا وهناك قصائد كثيرة في مدح المتنبي لسيف الدولة، وقيل عن قصة وفاته قصص كثيرة ومنها أنَّه وفي طريقه مـن أصـفهان إلى العـراق، نصب له أحد أعدائه وهو فاتك الأسدي كمينًا، وقتله في غربي بغداد.

الشعر في بلاط سيف الدولة

كان في بلاط سيف الدولة شعراء كثيرون ولكنّ المتنبـي كـان أبـرزهم وأبـو فراس الحمداني، وهناك قصائد كثيرة في مدح المتنبي لسيف الدولة تُقَدّر بِحواليْ 22 قصيدة، أظهرت هذه القصائد القدر الكبير من المودة الصادقة الذي يحملـه المتنبـي لسيف الدولة، وقد رافقها مدح تقليدي كـما في الشـعر العـربيّ، وقـد اهـتم سـيف الدولة بالشعراء لمصلحة سياسية فقد كـان مـن واجـبهم مدحـه والاحتفـاء بـه في أشعارهم فهو سيّدهم واميرهم وهؤلاء كان لهم الفضل امتداد نفوذ سـيف الدولـة في أنحاء العالم الإسلامي، وقد كان سيف الدولة أيضًـا يغـدق علـيهم مـن الهِبـات الكثير وعلى كلِّ الشعراء في بلاطِه، ولم يقتصرْ بلاط سيف الدولة على الشـعراء بـل كان من روّاده الفلاسفة وعلماء الدين وعلماء الفلك.

قال المتنبي أكثر قصـائده – التـي خلـدت شـعره - في مـدح سـيف الدولـة الحمداني فقد هام المتنبي في البلاد باحثًا عن الاستقرار في ظـلِّ دولـةٍ أو أمـير حتـى ذهب إلى انطاكيا، حيث كان أبو العشائر ابـن عـم سـيف الدولـة، واتصـل بسـيف الدولة، وذهب إليه المتنبي وعرض عليه أن يمدحه، وأن يقف بـين يديـه ويعـرض عليه قصائده كما يفعل باقي الشعراء فوافق سيف الدولة وأصبح المتنبي من شـعراء بلاط سيف الدولة، حاول الحاسدون الإيقاع بين سيف الدولة والمتنبي بعد العلاقة العميقة التي كانت بينهما أمثال الشاعر أبو فراس الحمداني، وقد مـدح المتنبـي كـلَّ خصال سيف الدول من شجاعة وصلابته في أرض المعركة، واشتعلت المنافسة بـين المتنبي وشعراء بلاط سيف الدولة بعد معرفتهم مـدى قـرب المتنبـي منـه، ونجـح البعض في زرع الشقاق بينهما.

غضب الشعراء ونقموا على المتنبـي ومانالـه مـن حظـوة وجـاه عنـد الأمـير الحمداني سيف الدولة فأوغروا صدره عليه وسعوا بالوشاية به عند الأمـير حسـدا

وحقدا على المكانة المرموقة التي ظفر بهاعنده واستمروا في الكيد له واتفقوا أن يسفهوا أحلام الشاعر ويقللوا من مكانته في حضرة الأمير ، ولما انعقد المجلس في تلك الليلة راحوا يعيبون علي مايقول المتنبي ويشوهون كل مايلفظ به ، وأخذوا يحرضون الأمير ويدفعونه إلى الخصومة مع الشاعر حتى غضب الأمير وقذف المتنبي بدواة كانت أمامه فشجت رأسه وسال الدم منه ، فارتجل المتنبي هذه الأبيات، **والتي منها:**

إن كان سركم ماقال حاسدنا فما لجرحي إذا أرضاكم ألم

وهنا قام سيف الدولة من مجلسه وعانق المتنبي ، ومنحه عطية كيسا كبيرا من المال، لكن المتنبي قرر الرحيل بعدها إلى مصر ليبدأ مرحلة جديدة من حياته ومسيرته الأدبية؛ وكان له ماكان من وقائع مع كافور الإخشيدي،وكتب فيه القصيدة التي تناقلتها ألسنة الرواة قدحا فيه وذماوتقليلا من مكانته ولنا تحفظ على ماقال المتنبي في هجاء كافور.

يقول المتنبي مادحاً ومعاتباً سيف الدولة الحمداني بعد أن صدق ماوشى به الواشون، كما يمدح نفسه أيضا في ثنايا الأبيات ، يقول:

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

مالي أكتم حبا قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الأمم

إن كان يجمعنا حب لغرته فليت أنا بقدر الحب نقتسم

قد زرته وسيوف الهند مغمدت وقد نظرت إليه والسيوف دم

فكان أحسن خلق الله كلهم وكان أحسن مافي الأحسن الشيم

فوت العدو الذي يممته ظفر في طيه أسف في طيه نعم

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة مالا تصنع البهم

ألزمت نفسك شيئا ليس يلزمها أن لا يواريهم أرض ولا علم
عليك هزمهم في كل معترك وما عليك بهم عار إذا انهزموا
أما ترى ظفرا حلوا سوى ظفر تصافحت فيه بيض الهند واللمم
يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصموا
وجاهل مده في جهله ضحكي حتى أتته يد فراسة وفم
إذا نظرت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث مبتسم
ومهجة مهجتي من هم صاحبها أدركتها بجواد ظهره حرم
رجلاه في الركض رجل واليدان يد وفعله ما تريد الكف والقدم
ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صحبت في الفلوات الوحش منفردا حتى تعجب مني القور والأكم
يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أن أمركم من أمرنا أمم
إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكم ألم

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة | إن المعارف في أهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم | ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي | أنا الثريا وذان الشيب والهرم
لئن تركن ضميرا عن ميامننا | ليحدثن لمن ودعتهم ندم
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا | أن لا تفارقهم فالراحلون هم
شر البلاد مكان لا صديق به | وشر ما يكسب الإنسان ما يصم
وشر ما قنصته راحتي قنص | شهب البزاة سواء فيه والرخم
بأي لفظ تقول الشعر زعنفة | تجوز عندك لا عرب ولا عجم
هذا عتابك إلا أنه مقة | قد ضمن الدر إلا أنه كلم

عيد بأية حال...

وهذه قصيدة أخرى للمتنبي كانت لها مناسبة ع قالها في مصر بعد أن غادر بلاد الشام تاركاً سيف الدولة ، ونفر الشعراء الذين حقدوا عليه.

أقام شاعرنا في مصر حيث الثراء والنعمة والخصب الوفير والرخاء الممتد ، ماء وفير ونهر جار يقطع البلاد من جنوبها لشمالها وجنات وارفة الظلال هنا وهناك لايبلغ الطرف مداها .

بدأ المتنبي بمديح كافور و الإشادة به فقربه وأنس به، **ومما قاله المتنبي في مديح كافور:**

ترعرعَ المَلِكُ الأستاذُ مُكتهِلاً | قبل اكتِهالٍ أديباً قبلَ تأديب
مُجَرَّباً فَهَماً مِنْ قَبْلِ تَجرِبَةٍ | مُهذَّباً كرَماً مِنْ غيرِ تهذيبِ

حتـــى أصـــابَ مـــنَ الـــدنيا نهايتهـــا وهـــمُّـــهُ في ابتـــداءاتٍ وتشـــــبيبِ

يُـــدَبِّرُ المُلْـــكَ مـــن مصـــــرٍ إلى عـــدَنٍ إلى العـــراقِ فـــأرضِ الـــرُّومِ فـــالنُّوبِ

انظرهو هنا يناديه بالأستاذ، وكان هذا لقب كافور (الأستاذ) لمقدرته وتفوقه في عالم السياسة وقيادة الناس وإصلاح أحوالهم وتدبيرها على خير وجه .

ويقول:

ومـــا طـــرَبي لـــمَّـــا رأيتُـــكَ بِدعـــةً لقد كُنـــتُ أرجـــو أنْ أراكَ فـــأطربُ

وتعـــذلُني فيـــكَ القـــوافي وهِمَّتـــي كأني بـــمدحٍ قـــبل مدحِكَ مُذنِبُ

ولكنَّـــــهُ طـــــالَ الطَّريـــــقُ ولم أزَلْ أُفـتَّشُ عـــن هذا الكلامِ ويُنهَـــــبُ

فهو هنا يعتذر إليه لأنه تأخر في مديحه، وأنه أذنب في مدح سواه ممـن سـبقوه من الخلفاء الذين عاش المتنبي في كنفهم .

ويقول:

لحـــا الله ذي الـــدنيا مناخـــا لراكـــب فـــكل بعيد الهـــم فـــيها معـــذب

الا ليـــت شـــعري هـــل أقـــول قصـــيدة فـــلا أشـــتكي فـــيـــهـــا ولا أتـــعـــتب

وأخـــلاق كـــافور اذا شـــئت مدحـــه وإن لم أشـــــأ تمـــلي عـــلي وأكتـــب

إذا تـــرك الأنســـان أهـــــلا وراءه ويمـــم كافـــورا فـــمـــا يتغـــرب

فتـــى يمـــلأ الأفعـــال رأيـــا وحكمـــة ونـــادرة أحيـــان يـــرضى ويغضـــب

فشـــرق حتى ليس للشـــرق مشـــرق وغرب حتى ليس للغـــرب مغـــرب

فكافور – كما يصوره المتنبي – عالي الهمة ، وهـو ذو أفعـال جليلـة وحكمـة بالغة ، يعين المحتاج ويأمن من لجأ إليه واحتمى بحماه .

ولما رأى المتنبي مافي مصر من الخير والنعمة بدت مطامعه ولم يعد يقنع بما ينال من أعطيات ودراهم يمنحها كافور كلما أشاد به الشاعر ومدحه ، فبدأ يطمع فيما هو أكثر من ذلك أن يمنحه كافور إحدى الإقطاعات في مصر المحروسة المترامية الأطراف ، وظل يلح على كافور حتى ضاق به ذرعا

ووصل المتنبي إلى مرحلة اليأس والقنوط والإحباط، وشعر بالفشل في مسعاه، فلا هو في العير ولا هو في النفير .. ومنةثم أهمل مجالسَ كافور ، فما عاد يتردد عليها ،.. وهجَر عِشرةَ الناس ، ولقاءَهم ، وصار يأنس إلى الانفراد بعيدا عن الناس ، يخلو بنفسه، ويجتر آلامه .

وبدأ المرجل النفسي يغلي شيئاً فشيئاً ، ويضطرب ويزداد اضطراباً ، ثم راح يقذف بالزبد ، ويتعالى صوت جَيَشانه ..

وذات يوم – قبل أن يطفح الكيل– ، ذهب إلى كافور وسأله صراحة عن وعده بحكم ضيعة أو ولاية أو أي مكان .. وبَيَّن له أنه ما قدِم إلى مصر إلا بعد أن اطمأنّ إلى وعوده البراقة ، فأجابه كافور جوابا أغضبه ؛ إذ قال له : " أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سَمَتْ نفسك إلى النبوة ، فإن أصبتَ ولاية صار لك أتباع ، فمن يطيقك ؟"

وكان رد كافور بمثابة الشرارة التي أشعلت النار في نفس المتنبي فقرر الانتقام، وكتب قصيدة الهجاء المشهورة ووضعها على الوسادة في ليلة عيد الأضحى وجمع غلمانه وأتباعه وحمل معه ماغلا ثمنه وخف حمله وانطلق هارباً عائدا إلى بلاد الشام .

وفي صباح العيد بعث كافور إلى أبي الطيب من يسأل عنه لأنه افتقده في يوم العيد ؛ إذلم يكن من بين المهنئين للأمير ، فعثرعلى القصيدة وأعطيت لكافور فلما

قرأها استشاط غضبا ،وغلي الدم في عروقه ، ولكـن المتنبـي كـان قـد فـارق مصرـ ودخل بلاد الشام .

وكان كافور – إضافةً إلى ما اشتهر به مِن شجاعة وعـدْل وشَـهامة – رجُـلاً حليمًا، فحينما هجاه المتنبي كان في إمْكانه وهو يحكُم مصرـ والحجـاز إذ ذاك – ولـه الكثيرُ مِن الأعوان والأتْباع والجواسيس – أن يُرسِل في أثره مَن يأتي أو يقتله حيـثما وجدَه، ولكنَّه لم يفعل شيئًا مِن ذلك! ومَن يدري لعلَّه) كافور(باكتفى بالدُّعاء عـلى المتنبي؛ إذ قُتِل المتنبي شرَّ قتلة في حياة كافور، وكان قتله بإيعاز مِن قبل عضد الدولة البويهي الحاكِم الذي قصدَه المتنبي بعدَ كافور، حيث ورد في تاريخ ابـن كثـير: "أنَّ عضُدَ الدولة دسَّ إليه مَن يسأله أيها أحسن عطايا، عضد الدولة بن بويه، أو عطايـا سيف الدولة بن حمدان؟ فقال: هذه أجزل وفيها تكلُّف، وتلـك أقـل ولكنَّهـا عـن طيب نفْس مِن معطيها.... فذُكِر ذلك لعضد الدولة فتغيَّظ عليه، ودسَّ عليه طائفة من الأعراب، فوقَفوا له في أثناء الطريق وهو راجعٌ إلى بغداد، ويُقال: إنَّـه كـان قـد هجا مُقدَّمهم ابن فاتك الأسدي... فـأوْعز إلـيهم عضـدُ الدولـة أن يتعرَّضـوا لـه فيقتلوه.[1]

يقول المتنبي في هجاء كافور :

عيـد بأية حال عـدت يا عـيد	**بما مضى أم لأمـر فيك تجديد**
أما الأحبة فالبيـداء دونهـم	**فليت دونك بيداً دونها بيد**
لولا العلى لم تجب بي ما أجوب بها	**وجناء حرف ولا جرداء قيدود**
وكان أطيب من سيفي معانقة	**أشباه رونقه الغيد الأماليد**
لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي	**شيئاً تتيمه عين ولا جيد**

1- البداية والنهاية، لابن كثير، 11 8273 .

يـا سـاقيي أخـمــــر في كؤوسـكـما   أم في كؤوسـكـما هــــم وتسهـيـــد

أصــخرة أنــا مــا لي لا تحــــــركني   هــذي المدام ولا هـذي الأغاريـد

إذا أردت كميــت اللـــون صـــافية   وجــدتها وحبيـب الـنفس مفقـود

مــاذا لـقـيت مـن الـدنيا وأعجبـه   أني بـــما أنــا شــاك منــه محســـود

أمسـيت أروح مثـر خازنــا ويــداً   أنـا الغنـي وأمـوالي الـمـواعـيـــد

إني نــزلــت بكذابين ضيـفـهـــم   عن القـرى وعـن الترحـال محدود

جود الرجال مـن الأيـدي وجـودهم   من اللسان فـــلا كـانوا ولا الجـود

ما يقبض الموت نفساً مـن نفوسـهم   إلا وفي يــده مــن نــتنها عـــود

أكلـما اغتـال عبـد السـوء سـيده   أو خانـه فـــله في مــصر تمهـيـــد

صـار الخصـي إمـام الآبـقـين بهـا   فالحر مستعبد والــعـــبد معـــبود

نامـت نـواطير مصـر عـن ثعالبهـا   فـقــد بشمن وما تــفـنى العـناقيد

العــبـد لـيس لـحـر صـالح بـأخ   لــو أنــه في ثيـاب الـحـر مولـود

لا تشــتر العبـد إلا والعصــا معـــه   إن الــعــبيــد لأنجاس مـناكيـــد

مــا كنـت أحسـبني أحيـا إلى زمـن   يســيء بي فيـه عبـد وهـو محـمود

ولا توهمــت أن النــاس قــد فقـدوا   وأن مثـل أبي الـــبيضاء موجــود

وأن ذا الأســـود المثقـــوب مشـــفره   تطيعــه ذي العضــاريط الرعاديـد

جوعان يأكـل مـن زادي ويمسـكني   لكي يـقال عظيم القدر مـقـصـود

ويلـمـهــا خطـة ويــلـــم قـابلـهــا   لـمثلها خلق الـمهــرية الـقـــود

وعنـدها لـذ طعـم المـوت شـاربه	إن الـمنية عـنـد الـذل قـنـديـد
من علـم الأسـود المخصـي مكرمـة	أقـومه الـبيـض أم آباؤه الـصيـد
أم أذنـه في يـد الـنـخاس دامـية	أم قـدره وهـو بالفلسين مـردود
أولى اللئام كـويـفـير بـمعـذرة	في كل لؤم وبعـض العـذر تفـنيد
وذاك أن الفحـول البـيض عـاجزة	عن الجميل فكيف الخصـية السـود

هذه هي قصيدة المتنبي وهذا هو هجاؤه ، فلم هذا التغير من مديح كافور إلى هجائه وذمه ؟نحننحب أبا الطيب ونطرب لشعره ومافيه من حكمة وصياغة فنية فائقة، ولكننا لانبرئه من تهمة النفاق السياسي والتلون ؛ فما الذي كان يحدث لـو أن كافورا استجاب لرغبة المتنبي ووولاه الإمارة ؟

لوحدث ذلك لكان المتنبي ملأ الدنيا مديحا وثناء " ولكنّا قرأنا بدلا عن ذلك قصائد تمدح وتمجد وتسوغ الأخطاء وتجعلها إنجازات بقـدرة قـادر كـما نشـهد في عصرنا الحاضر"

ويبقى أن نبين أن المتنبي تجاوز الحدود كلها في هجاء كافور ، وأنه عبد أسود ، وهذه سقطة من سقطات أبي الطيب ، فماذنب كافور أنه ولد أسود اللـون ، وكونـه عبدا ، وكونه خصيا ؟ ماكـان للمتنبـي أن يـذكر ذلـك في شـعره ؛ لأن هـذه أمـور لادخل لكافور فيها ، والمتنبي نفسه لادخل لـه في حياتـه فقـد ولـد في أسرة فقـيرة وكانأبوه جرارا يبيع الجرار في شوارع الكوفة .

على أية حال هذه سقطة كبيرة وقـع فيهـا المتنبـي ، فقـد هجـا ، وأفحـش في الهجاء، " والمؤمن ليس بطعان ولالعّان ولافاحش ولابـذيء" ، فقـد كـان كـافور قائدا يحسن القيادة ورئيسا يحسن السياسة ، أدار شؤون البلاد بحكمة واقتدار حتى سماه مؤرخو عصره ب(الأستاذ) ، ذلك أنه :

"عقب وفاة محمد بن طغج الإخشيد ، كان (أنوجور) ولي العهد صغيرا ، وكان كافور وصيا عليه ،ولم يكن ليدعه يظهر للناس حتي لا يعرفونه ، أفل نجم أونوجور سريعاً ليسطع نجم كافور الذي دعا له الخطباء علي المنابر دون أونوجور ، في الوقت الذي كان ينال فيه أونوجور ما خصصه له كافور من مال بلغ أربعمائة ألف دينار في العام.

ولكن أماً لأونوجور كانت أبصر من ابنها ؛إذ رأت أن الضجر بأبي المسك لم ينته إلي قلوب كثيرة من ذوي النفوذ ، والجند علي الدوام رهن بأرزاقهم يعطون قلوبهم حيث يضمنونها ، ورأت أن مافي خزائن ابنها لا يكفي فهو شئ قليل لا يكاديكفي ماهم طامعون فيه ، فحذرت ابنها من مغبة الهزيمة ، ورأت في الوقوف إلي جانب أبي المسك مزية ومكسباً لأسرتها ، وهنا نجد أن كافورا قد تنازل عن جانب من كبريائه وبطيب خاطر كتب لأونوجور يسترضيه ويمنيه ، ولكن الملك الصغير كان قد نسي مسألة الملك هذه وقنع بما يصله من دريهمات ، وهنا أصبحت الأمور جادة وبقي كل شئ في يدي أبي المسك من جديد ، وظل الأمر هكذا حتى مات أونوجور عن عمر يناهز الثلاثين عاماً وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين من الهجرة عاش منها أبي المسك كافور في ظل أونوجور سلطاناً حقيقياً ممسكاً بكل مقاليد الحكم مدة أربعة عشرة عاماً ، وقيل أن كافور دس له السم ليستريح منه وليزيحه من طريقه ، فتولي من بعده أخوه علي بن الإخشيد الذي كانت نفسه تمتلئ رعباً من سطوة كافور وشدة بأسه ، وكافور يعطي لعلي بن الأخشيد مثلما كان يعطيه شقيقه أونوجور في السابق ، ولكن السلطة التي قبض عليها كافور بشدة جعلته يُضيق الخناق عليه فلم يتركه يظهر للشعب مما جعل الصبي ينحدر إلي حياة اللهو والدعة ثم اتجه للانقطاع للعبادة يجد فيها سلواه ، حتي إذا أرهقته العبادة

شمر عن ساعديه ليبحث عن حقه المسلوب يطلبه ، فما كان من كافور إلا أن عجـل بموته بعد أن دس له السم أيضا.

وآلت الأمور لأبي المسك كافور الذي ملك السلطة والمال في يده .

ولم يحصل كافور على تفويض من قبل الخلافـة العباسـية. بيـد أنـه لم يواجـه اعتراضًا من قبلها، وكان يلقب بالأستاذ، ويكنـى بـأبي المسـك، وكانـت السياسـة الخارجية لكافور استمرارًا لسياسة محمد بن طغج الإخشيد في الحفـاظ عـلى علاقـة متوازنة مع كل من العباسيين والفاطميين. وبصفة عامة، فقد كان قريبًا مـن قلـوب المصريين لكونه سخيًا كريمًا؛ وينظـر بنفسـه في قضـاء حـوائج النـاس والفصـل في مظالمهم، وفي عهده اتسع نشاط دعاة الفاطميين في مصر".[1]

ولما توفي كافور ، وجدت هذه الأبيات التي كتبها المتنبي مدحاً فيه :

مــابال قـــبرك ياكافــور مـــــنفــرداً   بالصّحصح المرت بعد العسكر اللجب

يدوس قـبرك أحــاد الـــرجال وقـد   كانت أسود الشـري تخشاك في الكتـب

كما وجد مكتوباً علي قبره:

انظــر إلي غــير الأيــام مــا صــنعت   أفنـت أناسـاً بهـا كـانوا ومـا فنيـت

دُنياهم ضحكت أيـام دولــــــتهـــم   حتي إذا فنيـت ناحـت لهـم وبكـت

فوا عجبا مما فعله المتنبي وواعجبا مما كتب من هجاء قاس مهين ، أقل مايقال فيه إنه لايجوز أن يأتي من شاعر رقيق الحس ، سامح الله المتنبـي لمـا ارتكبـه في حـق كافور .

1- وفيات الأعيان لابن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ج5 ص62

وقد بينا ذلك للإنصاف وقول الحق الذي دعانا إليه المولى عز وجل في قوله:-

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية 9]

أعائد بك ياريحانة الزمن؟

قصيدة قالها الشاعر الكبير محمود سامي البارودي صاحب السيف والقلم، قالها وهو منفاه في سرنديب يحن إلى مصر ويهفو للعودة إليها، **يقول**:–

أَعَــائِدٌ بِــكِ يَــا رَيْــحَــانَــةُ الزَّمَــنُ ... فَــيَلْتَـقِــي الجُفْــنُ بَعْـدَ الْبَـيْنِ وَالْوَسَــنُ

أَشْــتَـاقُ رَجْــعَــةَ أَيَّـــامِي لِكَـــاظِـمَـةٍ ... وَمَــا بِـيَ الـدَّارُ لَـوْلا الأَهْـلُ وَالسَّــكَنُ

فَهَـلْ تَـرُدُّ اللَّيَالِي بَــعْضَ مَــا سَلَبَــتْ ... أَمْ هَلْ تَـعُـودُ إِلَى أَوْطَـانِهَـا الظُّعُـنُ؟

أَهَــنْـتُ لِلْحُبِّ نَــفْسِـي بَـعْدَ عِــزَّتِهَـا ... وَأَيُّ ذِي عِـــــزَّةٍ لِلْحُــــبِّ لا يَهُـــــنُ؟

فَـكَيْفَ أَمْـلِكُ نَـفْسِي بَـعْـدَمَا عَـلِقَـتْ ... بِيَ الصَّبَــابَةُ حَـتَّى شَــفَّنِــي الْوَهَــنُ؟

****

يَــا رَاحِــلِيـنَ وَفِــــي أَحـدَاجِهِمْ قمرٌ ... ب يَــكَـادُ يَــعْـبُـدُهُ منْ حُـسْـنِهِ الوَثَنُ

مُــنُّوا عَـلَيَّ بِــوَصْـــلٍ أَسْــتَــعِيدُ بِـهِ ... مِـنْ مُهْـجَـتِي رَمَقاً يَـحْـيَا بِهِ الْــبَـدَنُ

أَوْ فَـاسْـمَـحُـوا لِي بِوَعْدٍ إِنْ وَنَتْ صِـلَةٌ ... فَـالْوَعْـدُ مِـنْـكُمْ بِـطِيبِ الْعَيْشِ مُقْتَرِنُ

لَمْ أَلْقَ مِــنْ بَـعْـدِكُــمْ يَـومــاً أُسَــرُّ بِـهِ ... كَـأَنَّ كُـلَّ سُـرُورٍ بَــعْــدَكُــمْ حَـزَنُ

يَـا جِـيرَةَ الْحَيِّ مَـا لِي لا أَنَـالُ بِــكُـــمْ ... مَــعُــونَـةً وَبِكُمْ فِـي النَّاس يُـعْـتَـوَنُ

مَــاذَا عَــلَيْـكُـمْ وَأَنْـتُـمْ أَهْــلُ بَــادِرَةٍ ... إِذَا تَرَنَّم فِــيــكُمْ شَــاعِــرٌ فَــطِـــنُ؟

أَفِـي السَّوِيَّةِ ــ أَنْ يَـبْـكِي الْحَـمَــامُ وَلا ... يَــبْـكِي عَــلَى إِلْفِهِ ذُو لَوْعَــةٍ ضَـمِــنُ

****

يَــا حَـبَّذَا مِــصـرُ لَوْ دَامتْ مَـوَدَّتُهَـا ... وَهَـلْ يَدُومُ لِحَيٍّ فِي الْوَرَى سَـكنُ؟

تَـاللهِ مَـا فَـارَقَـتْهَا النَّفْسُ عَــنْ مَلَـلٍ ... وَإِنَّمـــا هــيَ أَيَّـام لَـــهَا إِحَـــــنُ

فَلا يَـسُرَّ عُـــدَاتِـــي مَـــا بُـلِـيـتُ بِهِ   فَـسَـوْفَ يَفْنَى وَيبْقَى ذِكرِيَ الحُـسَنُ

ظَـنُّوا ابْـتعادِيَ إغْـفَـالاً لِمُـنْـقَــبَـــتِي   وَذَاكَ عِـــزٌّ لَهَا لَـوْ أَنَّهُــمْ فَـــطَـــنُـــوا

فَـإِنْ أَكنْ سِرْتُ عَنْ أَهِلِي وَعَنْ وَطَنِي   فَالنَّاس أَهْـلِي وَكلُّ الأَرْضِ لِي وَطَـنُ

لا يَـطْمِسُ الجَْهلُ مَا أَثْقَبْتُ منْ شَرَفٍ   وَكَيفَ يَحْجُبُ نُورَ الجُـوْنَةِ الدَّخَـنُ؟

قَـدْ يَـرْفَعُ الْعِلْمُ أَقْوَامَاً وَإِنْ تَـــرِبُـــوا   وَيَـخْـفِضُ الجَْهْلُ أَقْوَاماً وَإِنْ خَزَنوا

فَـرُبَّ مَـيْتٍ لَهُ مِـــنْ فَضْلِهِ نَـــسَـــمٌ   وَرُبَّ حَيٍّ لَهُ مِـنْ جَهْــلِهِ كَـفَـــــنُ

فَـــلا تَـــغُـــرَّنْــكَ أَشْـبَـــاهٌ تَـمُرُّ بِهَـا   هَـيْهَـاتَ مَا كُـلُّ طِرْفٍ سَـابِـقٌ أَرِنُ

فَـــلا مَـلامَ عَلَى ما كَـانَ مِـنْ حَـدَثٍ   فَــكُـــلُّنَا بِـــيَـدِ الأَقْدَارِ مُـــرْتَـــهَـنُ

لَوْ كَـــانَ لِلْمَـرْءِ حُكْمٌ فِـــي تَـصَـرُّفِهِ   لَعَـــاشَ حُرّاً وَلَمْ تَــعْــلَقْ بِهِ المِْـحَـنُ

وَأَيُّ حَـيٍّ وَإِنْ طَالتْ سَـــــلامَــــتُهُ   يَـبْقَى وَأَيُّ عَزِيزٍ لَيْـسَ يُـــمْـتَهَـنُ؟

كُـــلُّ امرِئٍ غَـرَضٌ لِلدَّهْـرِ يَـــرْشُـقُهُ   بِـــأَسْهُـمٍ لا تَـقِـي أَمْـثَـالَهَـا الجُـنَـنُ

فَـلْيشْغَبِ الدَّهـرُ أَوْ تَـسْـكُـنْ نَوَافِرُهُ   فَـــلَسْـت مِـنْهُ عَـلَى مَـا فَاتَ أَحْـتَرِنُ

غَنـيتُ عمَّا يُهِـينُ النَّفْسَ مِـنْ عَـرَضٍ   فَمَـا عَـــلَيَّ لِحَيٍّ فِـــي الْوَرَى مِـــنَـــنُ

لَكِنَّني بَـــيْـــنَ قَـــوْمٍ لا خَـلاقَ لَهُـمْ   إِنْ عَاقَدُوا غَدَرُوا أَوْ عَـاشَرُوا دَهَنُـوا

يُـــخْـفُونَ مِنْ حَـسدٍ ما فِي نُـفُـوسِهِمُ   وَيُـظْهِرُونَ خِـدَاعـاً غَـيـرَ مَا بَـطنوا

يَـا لَلْحُـمَـاةِ أَمَـا فِي النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ   وَارِي الضَّـمِـيـرِ لَهُ عَـــقْـــلٌ بِهِ يَـزِنُ

أَكُـلَّ خِـــــلٍّ أَرَاهُ لا وَفَـــــــاءَ لَـهُ   وَكُلَّ قلبٍ عليَّ الْيَوْمَ مُــضْــطَـغِـــنُ

تَـــغَـــيَّرَ النَّاس عَـــمَّا كُـــنْـتُ أَعْهَـدُهُ   فَـالْيوْمَ لا أَدَبٌ يُـــغْـنِـي وَلا فِـطَـنُ

فَـالخَيرُ مُـنْـقَـبِـضٌ وَالشَّرُّ مُـنْـبَـسِـطٌ   وَالجَْهْلُ مُـنْـتَـشرٌ وَالْعلْمُ مُـنْـدَفِـنُ

لَمْ تَلْقَ مِنْهُمْ سَلِيماً فِي مَوَدَّتِهِ   كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ فِي قَلْبِهِ دَخَنُ

طَوَاهمُ الْغلُّ طيَّ الْقدِّ وَانْتَشَرَتْ   بِالْغدْرِ بَيْنَهمُ الأَحْقادُ وَالدِّمَنُ

فَلا صَدِيقَ يُرَاعِي غَيْبَ صَاحِبِهِ   وَلا رَفِيقَ عَلَى الأَسْرَارِ يُؤْتَمَنُ

بَلَوْتُهُمْ فسئِمتُ الْعيشَ وَانْصَرَفَتْ   نَفْسِي عَنِ النَّاس حَتّى لَيْسَ لِي شَجَنُ

فَإِنْ يَكُنْ فَاتَنِي مَا كُنتُ أَمْلُكُهُ   فَالْبُعْدُ عَنْهُمْ لِمَا أَتْلَفْتُهُ ثَمَنُ

كَفَى بِحَرْبِ النَّوَى سِلْماً نَجَوْتُ بِهِ   وَرُبَّ مَخْشِيَّة فِي طَيِّهَا أَمَنُ

لَعَلَّ مُزْنَةَ خَيْرٍ تَسْتَهِلُّ عَلَى   رَوْضِ الأَمَانِي فَيَحْيَا الأَصْلُ وَالْفَنَنُ

وَكُلُّ شيءٍ لَهُ بَدْءٌ وَعَاقِبَةٌ   وَكَيْفَ يبقَى علَى حِدْثانِهِ الزَّمَنُ؟

****

هي قصيدة قالها وهو في منفاه يبث لواعجه ، وحبه لمصر التي يعشق ترابها، ويبدأ الأبيات بالغزل ويتذكر أيامه الطيبة التي قضاها في كنف أهله وبين أترابه ورفاقه ، ولأن الشاعر فارس وله صولات وجولات سابقة في محاربة الأعداء ' فهو ذو صفات وأخلاق حميدة ؛ لذا نراه يفخر بمايحمل من طيب الصفات ، ولم ينس شاعرنا في ثنايا قصيدته أن يشير إلى أولئك النفر الذين تسببوا في إيذائه مبينا مافي نفوسهم من كيد ودغل وحقد ، ويختم البارودي قصيدته آملا أن يتبدل الحال وهو موقن أن الأمور إلى تغير ، وكل دور إذا ماتم ينقلب.

من ذا يشكك في صدق أحاسيس الشاعر، وزيف ماكتب تحت دعوى أن قصيدته قيلت في مناسبة؟

إلى عرفات اللّه

قصيدة رائعة غنتها المطربة الشهيرة أم كلثوم ، ويتغنى بها المسلمون كلما عن موسم الحج ، إذ ارتبط اسم القصيدة بموسم الحج وزيارة البيت الحرام، ودأبت كثير من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة على إذاعتها لما فيها من جميل الكلم وحلو النغم ورائع الأداء والغناء .

وراءهذه القصيدة الرائعة قصة كبيرة طريفة يعود تاريخها إلى أكثر من قرن من الزمان .

كتب كلمات القصيدة ودبج أبياتها أمير الشعراء أحمد شوقي عام 1910 وأهداها للخديوى عباس حلمي الثاني بن محمد توفيق، الذي كان مقربا منه، وقد بدأها شوقي بقوله:

إلى عرفات الله يابن محمدٍ

عليك سلام الله في عرفات

وكانت غاية شوقي من كتابة القصيدة: الاعتذارا للخديوي عباس حلمي الثاني بعدما هرب شوقي من مصاحبته فى أداء فريضة الحج ، وقد دعاه لمصاحبته في هذه الرحلة الطيبة التي يتمناها كل مسلم .

وقصة القصيدة ومناسبتها يرويها حسين شوقي في كتابه «أبي شوقي» ، يقول :

(الخديوي عباس حلمي الثاني قرر أن يذهب إلى الحج مصطحبا معه أسرته وكان من الطبيعي أن يطلب من شاعره وصديقه أحمد شوقي الذهاب معه وداعبه قائلا: إنه سيركب حصانا مطهما هدية منه إليه ولم يملك أحمد شوقي الرفض فصحب الموكب إلى صحراء العباسية ومن هناك فرّ تاركا الموكب قبل أن ينتبه الخديوي عباس حلمي الثاني، وعاد أحمد شوقي إلى القاهرة وكتب هذه القصيدة وأرسلها معتذرا إلى الخديوي.

ويعترف شوقي في ثنايا القصيدة بذلك معتذرا ومعللا تقاعسه عن تلبية دعوة الخديوي بأن الخديوي قد خيره بين السفر بسفينة البحر أو مطية البر، لكنه اعتذر عن هربه متذرعا بضعفه وداعيا له بأن يذهب ويعود سالما، يقول في أصل القصيدة حين كتبها للمرة الأولى :

دعـانى إليـك الصـالح (ابـن محمـد) وجئـت بضـعفى شـافعا وشـكات

وخيرنـــى فى ســـابحٍ أو نجيبـــةٍ إليـك فلـم أخـتر سـوى العـبراتِ

وقــدمت أعــذارى وذلى وخشــيتى فكــان جــوابى صــالح الــدعواتِ

وقد كان الشاعر الكبير في سريرته لايرغب في الذهاب لأداء الفريضة في ذلك العام ، ولما لم يستطع أن يصرح للخديوي بذلك عبر عن سببه الحقيقي للإحجام والتراجع عن السفر **فيقوله** :

ويا رب هل تغنـي عـن العبـد حجـة وفي العمــر مــا فيــه مــن الهفــوات؟

وأنـــت ولي العفـــو فـــامح بناصـــح من الصفح ماسودت من صـفحات

والقصيدة التى تتألف من 63 بيتا تضم كثيرا من الأبيات فى مديح الخديوى ووصف موكبه، إلا أنأم كلثوم اختارت منها 25 بيتا فقط قام بتلحينها رياض السنباطى، ليجعل منها لوحة فنية يستشعر المرء فيها جلال موقف الحجيج يوم عرفة وطوافهم بالبيت الحرام كما يستشعر الشوق والحنين لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وأداء فريضة الحج.

أدخل الملحن الشهير رياض السنباطي بالتعاون مع أم كلثوم وبعض الشعراء على قصيدة شوقي بعض التعديلات بقصد إخراجها من مناسبنها الخاصة التي كتبت من أجلها وجعلها عامة تنصب على موسم الحجيج ومناسك الحج ومافيها

من من مشاعر وأحاسيس ولتصبح صالحة لكل زمان ومكان ، فتم استبدال ألفاظ بأخرى مناسبة للأغنية، بداية من مطلع القصيدة الذي كان:

إلى عرفات الله يابن محمدٍ عليك سلام الله في عرفات

فأصبح مطلعها :

إلى عرفـــــــات الله يـــــــاخير زائــــــــر
عليـــــــك ســــــلام الله في عرفـــــــات

كما تم تغييرالبيت الذي يقول :

أرى النــــاس أصــــنافا ومــــن كـــــل بقعــــةٍ
إليــــك انتهـــوا مــــن غربــــة وشــــتات

فأصبح:

أرى الناس أفواجـا ومـن كـل بقعـة

إليـك انتهـوا مـن غربـة وشـتات

وكذلك قول أمير الشعراء في أصل القصيدة :
إذا زرتَ يـــامولاي قـــبر محمـــدٍ

وقبلــت مثــوى الأعظــم العطــرات

تغير إلى:
إذا زرتَ بعـــد البيـــت قـــبر محمـــد

وقبلــت مثــوى الأعظــم العطــرات

وذلك حرصا على جعل القصيدة صالحة للغناء بعيدة عن مدح الخديوي ومناسبة للحدث الديني، كماتغير قول الشاعر :

لبيتٍ طهورِ الساحِ والعرصات

إلى:

لبيت طهور الساح والغرفات

وتم استبعاد الأبيات التي مدح فيها شوقي الخديوي عباس حلمي الثاني والتي بدأ بها القصيدة.

إلى عرفـــــات الله ياخـــير زائــــر	**عليــك ســـــلام الله في عرفــــات**
ويــوم تــولي وجهــة البيــت ناظـــــرا	**وسـيم مجـــال البشــر والقســمات**
عــلى كــل أفــق بالحجــاز مــــــلائك	**تــزف تحــــــايا الله والبــــــركات**
لــدى البــاب جبريــل الأمـين براحــه	**رســــائل رحمـــانية النفحــــــات**
وفي الكعبــة الغــراء ركـــن مرحــب	**بكعبـــة قصـــاد وركـــن عفــــاة**
وزمــزم تجــري بــين عينيــك أعينــا	**مــن الكــوثر المعســول منفجــرات**
لك الدين يــارب الحجـيج جمعـتهم	**لبيــت طهــور الســاح والشــرفات**
أرى الناس أفواجـا ومـن كـل بقعـة	**إليــك انتهــوا مــن غربــة وشـــتات**
تسـاووا فـلا الأنسـاب فيهـا تفـاوت	**لــديك ولا الأقـــدار مختـــــلفات**
ويارب هـل تغنـي عـن العبـد حجـة	**وفي العمــر مــا فيــه مــن الغفــوات**
وتشـــهد مـــا آذيـــت نفســا ولم أضر	**ولم أبـــغ في جهـــري ولا خطـــراتي**
ولا حملــت نفــس هــوى لبلادهــا ك	**نــفـــــسي في فعـــــلي وفي نفثــاتي**

وقــدمت أعــذاري وذلي وخشــيتي وجئت بضعـــفي شافعا وشـكاتي

وأنــت ولي العفــو فــامح بناصــع من الصفح ما سوّدتُ من صـفحات

ومــن تضــحك الــدنيا إليـه فيغــترر يمت كقتيــل الغيــد بالبســـمات

إذا زرت بعــد البيــت قــبر محمـــد وقبلـت مثـوى الأعظُـم العطـرات

وفاضت مـن الـدمع العيـون مهابـة لأحمـــد بــين الســتر والحجــرات

وأشـــرق نــور تحــت كــل ثنيـــة وضاء أريـــج تحت كـل حصـاة

فقل لرسـول اللـــه يـا خـير مرسـل أبثـــك ما تـدري مـن الحســـرات

شـــعوبك في شرق الــبلاد وغربهــا كأصحاب كهف في عميـق سـبات

بـــأيمانهم نـــوران ذكـــر وســـنة فـما بالـــهم في حالـك الظلمـات

وقـــل ربي وفـــق للعظـــائم أمتـــي وزين لها الأفعــال والعـزمـــات

أما النص الأصلي فقد حرصنا على ذكره كما جاء في ديوان الشوقيات، والنص الأصلي هو:

إلى عـــرفـــات الله يابـــن محمـــد عـليــك ســـلام الله في عــرفــات

ويوم تــولي وجهــة الــبيت ناظـــرا وسيم مجالي البـشر والــقسـمـات

على كل أفـــق بالحجــاز مـــلائك تـزف تـحــايـا الله والـبركـــات

إذا حُديت عيس الـملوك فــإنهـــم لعيســك في البيــداء خــيرُ حــداة

كتب نزار هذه القصيدة بعد هزيمة العرب في حرب عام 67م مع العدو الصهيوني والتي على إثرها احتل الصهاينة أجزاء من وطننا العربي الكبير في الأردن وسوريا ومصر فضلاً عن فلسطين التي مازالت ترزح تحت نير الاحتلال الصهيوني.

ويعتب نزار – منفعلا– على العرب في هذه القصيد تقاعسهم وفرقتهم وانشغالهم بأمور الدنيا وعدم اليقظة والتوحد حتى تم للعدو ماأراد واقتطع أجزاء من جسد العروبة ، بعد كانت أمجاد العرب تطاول السماء علوا وتزحم النجم مكانة ورفعة ، وكانت خيول بني حمدان تهتز طربا عقب كل انتصار يحرزه أجدادنا الغر الميامين ، ثم كانت الفُرْقة والغفلة فكانت الهزيمة والتخاذل وبقيت فلسطين ترسف في أغلال الصهيوني البغيض، استمع إليه في قصيدته التي عنون لها (من مفكرة عاشق دمشقي)، **يقول فيها** :

فرشت فوق ثراك الطاهر الهدبا

فيا دمشق... لماذا نبدأ العتبا؟

حبيبتي أنت... فاستلقي كأغنيةٍ

عى ذراعي، ولا تستوضحي السببا

أن النساء جميعاً.. ما من امرأةٍ

أحببت بعدك.. إلا خلتها كذبا

يا شام، إن جراحي لا ضفاف لها

فمسحي عن جبيني الحزن والتعبا

وأرجعيني إلى أسوار مدرستي

وأرجعـي الحـبر والطبشـور والـكتبا

تلك الزواريـب كـم كنـزٍ طمـرت بهـا

وكـم تركـت عليهـا ذكريـات صـبا

وكم رسـمت عـلى جـدرانها صـوراً

وكـم كسرـت عـلى أدراجـها لعـبا

أتيت مـن رحـم الأحـزان يـا وطنـي

أقبـل الأرض والأبـواب والشـهبا

حبـي هـنا وحبيبـاتي ولـدن هـنا

فمـن يعيـد لي العمـر الـذي ذهبـا؟

أنا قـبيـلـة عـشـاقٍ بـكامـلـهـا

ومن دموعي سقيت البحـر والسـحبا

فكـل صفصافـةٍ حولـتهـا امـرأة

وكـل مـئـذنـةٍ رصعـتهـا ذهـبـا

هـذي البساتـين كانـت بـين أمتعتـي

لمـا ارتحلـت عـن الفيحـاء مغتربـا

فـلا قـميص مـن القمصـان ألبسـه

إلا وجـدت عـلى خيطانـه عـنبـا

كـم مبحـرٍ.. وهمـوم الـبر تسـكنه

وهاربٍ من قضاء الحب ما هربا

يا شام، أين هما عينا معاويةٍ

وأين من زحموا بالمنكب الشهبا

فلا خيول بني حمدان راقصةٌ

زهواً... ولا المتنبي مالئٌ حلبا

وقبر خالد في حمصٍ نلامسه

فيرجف القبر من زواره غضبا

يا رب حيٍ.. رخام القبر مسكنه

ورب ميتٍ.. على أقدامه انتصبا

يا ابن الوليد.. ألا سيفٌ تؤجره؟

فكل أسيافنا قد أصبحت خشبا

دمشق، يا كنز أحلامي ومروحتي

أشكو العروبة أم أشكو لك العربا؟

أدمت سياط حزيران ظهورهم

فأدمنوها.. وباسوا كف من ضربا

وطالعوا كتب التاريخ.. واقتنعوا

متى البنادق كانت تسكن الكتبا؟

سقوا فلسطين أحلاماً ملونةً

وأطعموها سخيف القول والخطبا

وخلفوا القدس فـوق الوحـل عاريـةً

تبيح عـزة نـهـديـهـا لــمـن رغـبــا

هل مـن فلسـطين مكتـوبٌ يطمئنـي

عــمـــن كتبت إليه.. وهـو مـا كــتبا؟

وعن بساتين ليمونٍ، وعـن حُـلـــــمٍ

يزداد عـــني ابـتعـاداً.. كلـمـا اقــتربا

أيا فـلسطين.. من يـهديك زنـبـقـةً؟

ومن يعـيـد لك الـبيت الذي خـــربا؟

شردت فوق رصـيف الـدمع باحـــثةً

عن الـحنان، ولـكـن ما وجـــدت أبـا

تـلـفـتـي... تـجـدينا في مـباذلـــنـــا

من يعبد الجنس، أو من يعبـد الـــذهبا

فـــواحـدٌ أعمت النعـمى بـصـــيرتـه

فـــللخنى والغـواني كـل ما كــــسبــا

وواحدٌ في بحـار الـنــفـط معـتســـلٌ

قد ضاق بالخيش ثوباً فارتدى القُصُـبا

وواحـدٌ نـــرجسـيٌ في ســـريـــرتـــه

وواحـدٌ من دم الأحـــرار قـــد شربـا

إن كان من ذبحوا التاريخ هـم نسـبي

على العصـــور.. فـإني أرفـض النسـبا

يا شام، يا شام، مـا في جعبتـي طـربٌ

أستغفر الشـعر أن يسـتجدي الطربـا

ماذا سأقــرأ مـن شعـري ومـن أدبي؟

حوافـــر الخيل داسـت عندنا الأدبـا

وحاصرتـنـــا.. وآذتنــا.. فلا قـــلـــمٌ

قـــال الـحـقـيقـة إلا اغـتيل أو صـلبا

يا من يعاتـب مذبوحـــاً عــــلى دمـــه

ونزف شـريانه، ما أسهـل الـعــتبـــا

من جـرب الكي لا ينسـى مـواجعـه

ومـن رأى السم لا يشقى كمـن شربـا

حبل الـفـجــيعـة ملتفٌ على عـنـقي

من ذا يعاتب مشنوقاً إذا اضطـــــربا؟

الشعر ليـس حمامـاتٍ نـطـــيرهــــا

نحـــو السماء، ولا نايـاً.. وريـح صـبا

لـكـنه غــضبٌ طـالـــت أظـافــره

ما أجـــبن الشـعر إن لم يركبالغضـبا!

وهذه مناسبة أخرى لقصيدة من روائع نزار قباني .

ألقيت هذه القصيدة في رثاء طه حسين في إحدى قاعات جامعة الدول العربية في القاهرة سنة 1973، وتبدو القصيدة كأنها قيلت اليوم،وقد عنون نزار لقصيدته بهذا العنوان :

حوار ثوري مع طه حسين:-

ضـــوءُ عينَيْــــكَ أمْ هُـــمْ نَجمَتـــانِ؟
كُلُّهـــمْ لا يَـــرى .. وأنــــتَ تَـــراني
لســـتُ أدري مِـــن أيـــنَ أبـــدأُ بَـــوْحي
شـــجرُ الدمــــعِ شـــاخَ في أجفـــاني
كُتِـــبَ العشـــقُ ، يـــا حبيبـــي ، علينـــا
فـهـــوَ أبـكـــاكَ مـثـلمـــا أبكـانـــي
عُمْـــرُ جُرحـــي .. مليـــونَ عـــامٍ وعـــامٍ
هـلْ تَـرى الجُـرحَ مـن خِـلال الـدُخانِ؟
نَقَـــشَ الحـــبُّ في دفاتـــرِ قـلبـــي
كُـــلَّ أسـمـــائِهِ ... ومـــا سَـمَّـــاني
قـــالَ : لا بُـــدَّ أن تَمـــوتَ شـهـــيداً
مثـــلَ كُـــلِّ العشّـــاقِ ، قلـــتُ عَسَـــاني
وطويـــتُ الدُّجـــى أُســـائلُ نفســـي
أَبِسَـــيْفٍ .. أم وردةٍ قـــد رمـــاني ؟
كيـــفَ يـــأتي الهـــوى، ومـــن أيـــنَ يـــأتي؟
يعـــرفُ الـحـــبُّ دائـمـــاً عـنـــواني
صَـــدَقَ الموعـــدُ الجميـــلُ .. أخيـــراً
يـــا حـــبيبي ، ويـــا حَبيـــبَ الـبَيَـــانِ
مـــا عَـــلَينـــا إذا جَلَسْـــنا بـرُكـــنٍ
وَفَـتَحْـنـــا حَـقـــائِـــبَ الأَحـــزانِ

وقـرأنــــا أبــــا العـــــلاءِ قـلـــيــــلاً
وقَـرَأنـــــــا (رِسَــــــالةَ الغُـفْـــــرانِ)
أنـــــا في حضــــرةِ العُصـــورِ جميعـــاً
فزمـــانُ الأديـــبِ .. كـــلُّ الزّمـــانِ..
****
ضـــوءُ عينَيْـــكَ .. أم حـــوارُ المَـــرايا
أم هُـــمــــا طائِـــرانِ يحـتـرِقـــانِ ؟
هـــل عيـــونُ الأديـــبِ نهـــرُ لهـــيبٍ
أم عيــــونُ الأديــــبِ نَهــــرُ أغــــاني ؟
آهِ يــا ســيّدي الـــذي جعـــلَ اللّـــيـــلَ
نهــــاراً .. والأرضَ كالمهرجــــانِ....
اِرمِ نـظّـارَتَـيْـــكَ كـــي أتــملّـــــى
كيـــف تبكـــي شـــواطئُ المرجـــانِ؟
اِرمِ نظّارَتَيْـــكَ ... مـــا أنـــتَ أعمـــى
إنّـــمـــا نحـــنُ جـوقـــةُ العـــمـيـــانِ
****
أيّهـــا الفـــارسُ الــذي اقــتحمَ الشـــمسَ
وألــقــــى رِداءَهُ الأُرجــــوانـــــي
فَعـــلى الفجـــرِ موجـــةٌ مِـــن صهيـــلٍ
وعـــلى النجـــم حافـــرٌ لحصـــانِ..
أزْهَـــرَ البـــرقُ في أنامِلـــكَ الخمـــسِ
وطــــارَتْ للغــــربِ عُـصفـورَتــــانِ
إنّـــكَ النهـــرُ .. كـــم ســـقانا كؤوســـاً
وكَســـانا بالـــوردِ وَ الأقـحُـــوانِ
لم يَــزَلْ مــا كَتَبْتَــهُ يُسـكِـــرُ الكـــونَ

ويجـــري كالشّهـــدِ تحـــتَ لســـاني
في كتــابِ (الأيّــامِ) نــوعٌ مــنَ الرّســمِ
وفيـــهِ الــتفـكيـــرُ بالألـــوانِ..
إنَّ تلــكَ الأوراقِ حقــلٌ مــن القمــحِ
فــمِــنْ أيــنَ تبــدأُ الــشّــفتــانِ؟
وحــدُكَ المُبصرُــ الــذي كَشَــفَ الــنَّفْسَ
وأسْـــرى في عَــتمـــةِ الــوجـــدانِ
****
أيّهــا الأزْهَـــرِيُّ ... يــا ســارقَ النّــارِ
ويــا كاســراً حـــدودَ الــثوانـــي
عُـــدْ إلينــا .. فـــإنَّ عصـــرَكَ عصرٌـــ
ذهـبـــيٌّ .. ونحـــنُ عــصـــرٌ ثـــاني
سَـــقَطَ الفِكـــرُ في النفـــاقِ الســـياسيِّ
وصـــارَ الأديـــبُ كالبَـــهْـلَـــوَانِ
يتعـــاطى التبخـــيرَ.. يحـــترفُ الـــرقصَ
ويـدعـــو بالــنّصـــرِ للسّـــلطانِ
عُـــدْ إلينــا .. فـــإنَّ مــا يُكتَــبُ اليـــومَ
صـــغيرُ الـــرؤى .. صـــغيرُ المعـــاني
ذُبِـــحَ الشِّعـــرُ .. والقصـــيدةُ صـــارَتْ
قـــينـــةً تُـشـتَـــرى كَكُـــلِّ الـقِـيَـــانِ
جَـــرَّدوها مـــن كـــلِّ شيءٍ .. وأدمَـــوا
قَـدَمـــــيْـهـــا .. باللّــفِ والــدّورانِ
لا تَسَـــلْ عـــن روائـــعِ الـمُـتـــنبّي
والـشَريـــفِ الرّضـــيِّ ، أو حَسَّـــانِ
مـــا هـــوَ الشّــعرُ ؟ لـــن تُلاقـــي مُجيبـــاً

هـــــوَ بيـــنَ الـجـنـــونِ والـهـذيـــانِ

****

عُـــدْ إلينـا ، يـا ســـــيّدي ، عُـــدْ إلينـا

وانتَشِــــلنا مــن قبضـــةِ الطـوفـــانِ

أنــتَ أرضعــتَنــا حلـــيـــبَ التّحــدّي

فَــطـحَـــنَّــا الـنجـــومَ بالأســـنانِ

واقـتَـلَعــنـــا جـلودَنـــا بـيـدَيـْنـــا

وفَـكَـكْـــنـــا حـجـــارةَ الأكـــوانِ

ورَفَضْـــنا كُـــلَّ السّـــلاطينِ في الأرضِ

رَفـَضْـــنـــا عـــبـــادةَ الأوثـــانِ

أيّهـــا الغاضـــبُ الكَبيـــرُ .. تأمَّـــلْ

كيــــفَ صــارَ الكُتَّـــابُ كالخِرفـــانِ؟

قَنعـــوا بالحيـــاةِ شَمسَـــاً .. ومرعـــىً

واطمَـــأنّــوا للـمـــاءِ و الـغُـــدْرانِ

إنَّ أقســـى الأشـــياءِ للـــنفسِ ظُلـــماً

قَـلَـــمٌ في يَـــدِ الـجَـبَـــانِ الجَـــبَـــانِ

يـــا أمـــيرَ الحُـــروفِ .. هـــا هـــيَ مِصرٌ

وردةٌ تَـــســتَـحِـــــمُّ في شِـــريـانـــي

إنّنـــي في حِمـــى الحُســـينِ، وفي اللّيـــلِ

بـقـايــا مـــن ســـورةِ الـرّحـــمـــنِ

تَســــتَبِدُّ الأحـــزانُ بي ... فأُنـــادي

آهِ يــا مِــــصْـــرُ مِـــن بنـي قَحــطـــانِ

تـــاجروا فيـــكِ، ســـاوَموكِ، اســتَباحوكِ

وبَـاعُـــــوكِ كَـاذِبَـــاتِ الأَمَـانِـــي

حَبَســـوا المـــاءَ عـــن شـــفاهِ الـــيَتامى

وأراقـــوهُ في شِـفـــاهِ الغَـــوانـــي
تَركـــوا السّــيفَ والحصـــانَ حَـــزينَيْنِ
وباعـــوا الـتـاريـــخَ للـشّــيطـــانِ
يشـــترونَ القصـــورَ .. هـــل ثَـــمَّ شـــارٍ
لـقـبـــورِ الأبـطـــالِ في الجَـــولانِ ؟
يشـــترونَ النســاءَ .. هــــل ثَـــمَّ شـــارٍ
لـــدمـــوعِ الأطـفـــالِ في بَيســـانِ ؟
يشـــترونَ الزوجـاتِ بـــاللحمِ والعظـــمِ
أيُّــشــــرى الـجـمـالُ بالـمـــيزانِ ؟
يشــــترونَ الـــدُّنيا .. وأهـــلُ بـــلادي
يـنـكـــشـــونَ الـتُّـــرابَ كالـــدّيـــدانِ
آهِ يـــا مِصــــرُ .. كَـــم تُعـــانينَ مِنــــهمْ
والـكـبيــرُ الـكبيــرُ .. دومـاً يُعـــاني
لِمَـــنِ الأحـمـــرُ المُـــراقُ بسَـينــــاءَ
يُحـــاكي شـــقـائـــقَ الـنُعـمـــانِ ؟
أكَلَـــتْ مِصْــــرُ كِبْـــدَها .. وسِـــواها
رَافِـــلٌ بالـحـــريرِ والـطـيلَسَـــانِ
يـــا هَـــوَانَ الهَـــوانِ.. هَـــلْ أصـبحَ الـنفطُ
لَـدَيـنـــا .. أَغْـــلى مـــن الإنـســـانِ ؟
أيّهـــا الـغـــارقـــونَ في نِـعَـــمِ اللهِ
ونُعْـــمَى الـمُـــرَبْـــرَباتِ الـحِســـانِ

قـــدْ رَدَدْنـا جحافـــلَ الـرّومِ عـــنكـــمْ
ورَدَدْنـــا كِـســـرى أنـوشِـــرْوانِ
فادفعـــوا جِـــزيَةَ السّـيوفِ عـــليـكُـــمْ

لا تـعــيـــشُ الـسّــيـــوفُ بالإحســـانِ

****

ســـامِحِيني يـــا مِصـــرُ إنْ جَمَــحَ الشِّــعرُ

فَطَعْـــمُ الـحـريــقِ تـحــتَ لِـســـاني

ســـــامحيني .. فأنـــــتِ أمُّ المـــــروءَاتِ

وأمُّ الـــسّـــمـــــاحِ والـــغُـــفـــرانِ

ســـامِحِيني .. إذا احترَقــتُ وأحرَقْـــتُ

فـلـــــيسَ الـحِـيـــــادُ في إمـــــكـــاني

مِصـــر يـــا مِصـــرُ إنَّ عِشــقي خَطــيرٌ

فاغـفــــري لي إذا أَضَعْــــتُ اتّــزانِي

****

وهذه– أيضاً– قصيدة أخرى ذات مناسبة شهيرة يعرفها كل العـرب ألقاهـا الشاعر نزار قباني هذه القصيدة بعد انتقال مقر الجامعة العربية من مصر إلى تونس ، وقد عنون لها الشاعر بعنوان (أنا ياصديقة متعب بعروبتي)

يقول فيها:

أنـــــا ياصـــــديقة متعـــــب بعروبتـــــي
يـــــاتونس الخضـــــراء جئتـــــك عاشـــــقاً
وعـــــلى جبيـــــني وردةٌ وكـــــتابُ
إني الدمشـــــقي الـــــذي احـــــترف الهـــــوى
فاخضـــــوضرت لغنائـــــه الأعشـــــابُ
أحرقـــــت مـــــن خلفـــــي جميـــــع مراكبـــــي
إن الـهـــــوى أن لايكـــــون إيـــــاب
أنـــــا فـــــوق أجفـــــان الـــــنساء مـــــكسرٌ
قطعـــــاً، فعمـــــري المـــــوج والأخشـــــاب
لـــــم أنـــــس أســـــماء الـــــنساء وإنـــــما
للـحـــــسن أســـــباب ولي أســـــباب
يـــــا ســـــاكنات البحـــــر مـــــن غرناطـــــة
جـــــف الشـــــذا وتفـــــرق ا لأصـــــحاب
أيـــــن اللـــــواتي حبهـــــن هـــــوايـــــة
وغيابهـــــن.. وقـــــربهن.. عـــــذاب؟
اللابســـــات قصـــــائدي ومـــــدامعي
عاتـبتهـــــن فـمـــــا أفـــــاد عـتـــــاب
أحببتهـــــن وهـــــن مـــــا أحببنـــــي
وصـــــدقـتهـــــن ووعـدهـــــن كِـــــذَابُ

هـــــل دولـــة الحـــب التـــي أسســـتها
سـقـــطت عـــلي وســـدت الأبـــواب؟؟
تبكـــي الكـــؤوس فبعـــد ثغـــر حبيبتـــي
حلـفـــت بـــأن لا تسـكــــر الأعـــناب
أيصـــــدني نهـــــد تعـــبت برســـمه
وتخـــــونني الأقـــــراط والأثـــواب؟
مـــاذا جـــرى لممالكـــي وبيـــارقي؟
أدعـــو ربـــاب فـــلا تجيـــب ربـــاب
أأحاســـب امـــرأة عـــلى نـسـيانهــــا
ومتـــى اســتقام مــع النســاء حســاب؟
ماتبـــت عـــن عشـــقي ولااســـتغفرته
ماأســخف العشــاق لـــو هـــم تـــابوا
قـــمر دمشـــقي يسافـــر في دمـــي
وبلابـــل.. وســـنابل... وقـــباب
الـفـــل يبـــدأ مـــن دمشـــق بياضــه
وبعـطـــرهـــا تتطيـــب الأطيـــاب
والمـــاء يبـــدأ مـــن دمشـــق فحيـــثما
أســـندت رأســـك جـــدول ينســـاب
والشـــعر عصـــفور يمـــد جناحـــه
فـــوق الـــشآم وشـــاعـــر جـــواب
والحـــب يبـــدأ مـــن دمشـــق فأهلنـــا
عـــبدوا الـــجـــمال وذوبـــوه وذابـــوا
والخيـــل تبـــدأ مـــن دمشـــق مســـارها

وتشـــد للـفتـــح الـكــــبير ركــاب

والـــدهر يبــدأ مـــن دمشـــق وعنــدها

تبقـــى اللغـــات وتحـفـــظ الأنســـاب

ودمشـــق تعطـــي للعروبـــة شــــكلها

وبأرضـهـــا تتشـــكل الأحـقـــاب

بـــدأ الزفـــاف فمـــن تكـون مضــيفتي

هـــذا المســاء ومــن هـــو العــراب؟

أأنـــا معــــني الـقـــصر ياقرطاجـــة

كيـــف الحضـــور؟ ومـــاعلي ثيـــاب

مـــاذا أقــول؟ فمــي يفــتش عــن فمــي

والـمـفــــردات حجـــارة وتـــراب

فـمـــــآدب عــربـــية وقـصـائـــــد

همزيـــــة... ووســـائد.... وحبـــاب

لاالكـــأس تنســينا مســـاحة حزننـــا

يومـــــاً ولا كــــل الشرـــاب شراب

مـــن أيـــن يـــأتي الشـعر؟ حـــين نهارنـــا

قـــمـــع وحــــين مســـــاؤنا إرهـــاب

سرقـــوا أصــــابعنا وعطــــر حروفنـــا

فـــبـــأي شـــئ يـكـــتب الـكـتــــاب؟

مـــن أيـــن أدخـــل في القصــيدة يــاترى؟

وحـــدائق الـــشعـــر الجمـــيل خـــراب

لــــم يبـــق في دار البــــلابل بـلـبـــل

لا الـبـحــــتري هـــــنا ولا زريـــاب

شعـــــراء هـــذا الـــيوم جــنس ثالــث

فالـقـــول فـــوضى والـــكلام ضـــباب

يـتـكلمــــون مــع الـفــــراغ فــما هـــم

عــجـــم إذا نـطــقـــوا ولاأعـــراب

اللاهثـــون عـــلى هــــوامش عمــــرنا

ســـــيان إن حضــروا وإن هـــم غـــابوا

مـــن أيـــن أدخـــل في القصـــيدة يـــاترى

والـــشمس فــــوق رؤوســـنا سرداب؟

إن القصـــيدة لـــيس ماكتبـــت يـــــدي

لـكـنـــهـــا ماتـكـــتب الأهـــداب

نـــار الـكـــتابة أحرقـــت أعـمـــــارنا

فـحـيـاتـنـا الـكــبريت والأحطـــــاب

ما الشـعر؟ مـا وجـع الكتابـة؟ مـا الـرؤى؟

أولى ضـحـــايانـــا هـــم الـكـتـــاب

يـــاتونس الخـضـــــراء هــــذا عــــالم

يــثـــــري بــه الأمــي والـنـصّـــاب

هـــل في العيـــون التونســـية شـــاطئ

ترتـــاح فـــوق رمـــاله الأعـصـــــاب

أنــا ياصـــديقة متعـــب بعـــــروبتي

فهـــل الـعـــروبة لعـنة وعـقـــاب؟

أمشيـــ عـــلى ورق الخريطـــة خائفـــاً

فعـــلى الـخـريطـــة كـــلنا أغـــراب

أتكلـــم الفصـــحى أمـــام عـشــــيرتي

وأعيد لكن ماهناك جواب

لولا العباءات التي التفوا بها

ماكنت أحسب أنهم أعراب

ياتونس الخضراء كأسي علقم

أعلى الهزيمة تشرب الأنخاب؟

والعالم العربي يرهن سيفه

فحكاية الشرف الرفيع سراب

ماتت خيول بني أمية كلها

خجلاً وظل الصرف والإعراب

بحرية العينين ياقرطاجة

شاخ الزمان وأنت بعد شباب

هل لي بعرض البحر نصف جزيرة؟

أم أن حبي التونسي سراب

أنا متعب ودفاتري تعبت معي

هل للدفاتر ياترى أعصاب؟

حزني بنفسجة يبللها الندى

وضفاف جرحي روضة معشاب

لا تعذليني إن كشفت مواجعي

وجه الحقيقة ماعليه نقاب

إن الجنون وراء نصف قصائدي

أوليس في بعض الجنون صواب؟

فإذا صرخت بوجه من أحببتهم

فلكي يعيش الحب والأحباب

وإذا قسوت على العروبة مرة
فلقد تضيق بكحلها الأهداب
فلربما تجد العروبة نفسها
ويضيء في قلب الظلام شهاب
قرطاجة قرطاجة قرطاجة
هل لي بصدرك رجعة ومتاب؟
لاتغضبي مني إذا غلب الهوى
إن الهوى في طبعه غلاب
فذنوب شعري كلها معفورة
والله جل جلاله التّواب

القصيدة إذن تحمل مناسبة وكأنما هي أبلغ رد على أولئك الذين يتحاملون على شعر المناسبات ، ويرمونه بالضعف ، والتكلف وكذب العاطفة ،وعجيب الأمر أن الشاعر نزار بدأ قصيدته بالغزل سيرا على نهج القدماء، وهي رد مفحم آخر على أولئك الذين يرمون شعرنا العربي القديم بالتفكك وتعدد الأغراض فيه وافتقاره إلى الوحدة العضوية ، وكلها أوهام وأباطيل لاوجود لها إلا في نفوس قائليها والناطقين بها.

الشاعر هنا بدا قصيدته بالغزل ، وماأحلى ماكتب ، فهو المحب المتيم الذي تخدعه حبيباته دائما ولاتفين بما وعدن ، وفي رشاقة ينتقل إلى غزله الجميل في دمشق التي يحبها ومالها من أمجاد ومكانة ، وفي عذوبة ولباقة يتسلل إلى الحديث عن الشاعر وماآل إليه حاله ، ومايمر به الشعراء من ضعف – وهو محق فيما يقول – ، ودون أن نشعر ينسل إلى الحديث عن العروبة وماأصاب أوصالها من تمزق ، ويأسى لحال العرب وماهم فيه من فرقة وتنافر .

كل هذا الأغراض التي ذكرها نزار في قصيدته صالح لأن يكون كـل غـرض منها موضوعا مستقلا بذاته لقصيدة ، ومع ذلك جمعها شاعرنا في قصيدة واحدة في لباقة وحسن تخطيط وتوزيع وجمال انتقال من غرض لآخر لاتكاد تشعر به ، أهناك عيب أن أجمع باقة من الزهور بيضاء وحمراء وصفراء في بوتقة واحدة ؟ إنك عندئـذ سترى ألوانا عدة تبعث على التأمل ، وستشم روائح شتى تأخذ بالألباب !!

ياسادتي النقاد منذ متـى خضـع الشـاعر للقيـود ؟ اكتـب في غـرض واحـد ولاتكتب في أغراض متعددة ! ، هذا سيجعلك تفقد الوحـدة العضـوية ! إلى آخـر هذه القيود التي ماأنزل الله بها من سلطان .

منذ متى فُرض على البلبل أن يغرد بكذا ولايغرد بكـذا ؟ البلبـل لووضـع في قفص وحرم حريته لايغرد ، دعوا الشاعر ينطلق ، اتركوه يكتب وفق ماتمليـه عليـه قريحته وحسبنا توجهه بوصلة أحاسيسه ، اتركوه وشأنه معشر النقاد الكرام أثـابكم الله .

أنا والصحاب في زمن الكورونا

قصيدة كتبها الشاعر نعمان عبد السميع متولي

اجتاح وباء الكورونا العالم كله ، وكانت بداية ظهوره في الصين في مدينة " يوهان"في فبراير 2020م فأتى عليها وفتك بالآلافوجعل المدينة خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس ، ثم انطلق منها لينتشر إلى بقية دول العالم فاجتاح أمريكا وإيطاليا وألمانيا وفرنسا وأسبانيا ، ولم يدع دولة إلا زارها ضيفا ثقيلا غير مرحب بهوجثم على صدور البشر وصار مصطلح الوباء العلمي " كوفيد19" فقامت الدول بإجراءات وقائية ، أغلقت فيها " الكافيهات" والمطاعم ، والأسواق " والمولات " وكل الأماكن الحكومية التي يزدحم فيها الناس ، وأعلنت كثير من الدول حظر التجول ومنع السير إلا بكمامة على الأنف والفم وقفاز في اليد ، وامرت كثير من مواطنيها بالبقاء في المنازل وعدم الخروج منها إلا للضرورة القصوى ولم يعد مفتوحا من المحلات سوى الصيدليات ومحلات البقالة ، واغلقت المدارس والجامعات ومراكز التعلم.

ومكثنا في المنزل ولم يعد يتلاقى الصحاب إلا من خلال الهواتف ، وبدلا من التواصل صار الشعار هو التباعد الاجتماعي ورفع شعار (مش هانسلم مش هنبوس حتى يرحل الفيروس) وساد شعار (زورونا بعد الكورونا)

وخلال هذا الحبس الانفرادي ضاق الشاعر بالبقاء في المنزل ينتقل فقط من مقعد إلى مقعد ومن حجرة إلى حجرة أخرى حتى شعر بالملل والاختناق، **فكتب هذه الأبيات:**

أنا والصحاب في زمن الكورونا

مابال قـلبك يانعـمان قـد فـزعا — هل "الكورونا" تصب الخـوف والهلعا؟

رحمـاك يـارب إن الخـوف داهمنـي — وضـقـت ذرعـا ومـاألـفيت مـتسـعـا

قـد جال في مـرقـدي أَرَقٌ لـه نـفـذٌ — وأنـبـت الـحـزن آلامـا ومـا انقـطـعـا

ففي النهـار أرى الأخبـار تـوجعني — وتـذرف الـعين مـن لأوائهـا دمعـا

عـلى الملايـين في الأقطـار قـاطبة — حـدُّ المصـاب بـه قـد زاد وارتـفـعـا

وفي الـمساء إذا مـا الليـل يـدهمنا — أظـل في أرق والـجـنب مـاهـجـعـا

"كوفيد" مزّق شمل الصحب كلهـم — فـلا مـساس إذا مـاجـمـعهم جُمـعـا

تنافـروا لابمـا تبـدي مخاصـمـة — وإنـمـا حـذر " الـكـوفـيـد " أن يـقـعـا

فـكيف نحـيا بلا وصل ومـقـربـة؟ — والـوصـل نمضيـ بـه ريـا ومـنتفعـا

أأستسيغ ابتـعـادا لا أواصـلـكـم؟ — سيـصنع الـبعـد عـنكم فـوق مـاصُنعـا

****

إن " الكورونـا " إذا مااشـتد جانبـه — وزاد مـن بـأسـه وسـاد واتـسـعـا

حـتما سيمـضي إلى أدنـى نهـايتـه — مـن بعـد مانالنا بالـسـوء مـضطـلعـا

فـكم وباء أتى واشـتـد مـنتشـرا — ثـم انـثنى ومـضـى وانـزاح وانـقـشـعـا

"كوفيـد" أمعـن في إحكـام محبسنا — وزادنـا رَهَقـا واخـتـال مـبـتـدعا

وصرت من حَـيْـفـه أحـيا بـمـسـكـنة — في عـمـق داري وهـا قـد صرت متبعـا

أصغي لأمر "الحكومة" التي أمرت اقعد بدارك مدحورا ومنتزعا

لاتبرح الدار لاترتاد أندية لاتقرب السوق لاشغلا ولامسعى

فصرت وحدي رفيقي في الورى قلم وثم مكتبة حسبي بها نفعا

وإن مللت فتلفاز أشاهده " وراديو" مؤنسي قد صرت مستمعا

همو رفاق وفي أعطافهم نفَعٌ "كوفيد" صيَّرنا بهم نعيش معا

هذي الشوارع طول اليوم خاوية إلا بقيةَ من في شُغله يسعى

حتى القرى عريت والمدن خالية كأنها طلل بالصحب قد فُجعا

****

يارب قد هالنا فعل الوباء بنا وزاد إذلالنا قد غالنا صُنعا

فارفق إلهي بنا ياحي ياربنا أزله عن كوننا واجعله منقشعا

****

في27 من أبريل 2020م

ولما اشتد وباء الكرونا انتشارا وفتكا بالبشرية كتبت هذه الأبيات :-

نار الكورونا

نار الكورونا

نار الكرونا مضت تجتاح في غضب	ومن يرد الكرونا بعدما غضبا؟
لاشيء يمنعها تسري وتنتشر	كالنار موقدة تستأصل الحطبا
كأن ثأرا لها فينا وموجدة	واستفحل الثأر حتى زادها نصبا
لم تنطفىء نارها ظلت مؤججة	تجتاح عاتية وتهتك الحجبا

****

ياويحها تركت آثار فعلتها	بين الخلائق في أقطارنا عجبا!
لم تبق ضاحية في الأرض عامرة	إلا وقد نالها من لفحها لهبا
تباعد الناس في رعب وفي فزع	خوف المنون إذا ماجمعهم ذهبا
وأفرغوا شارعا وساح مدرسة	والسوق بارغداخلوا ومختربا
قد فرغوها لها ساحا موسعة	تجري وتمرح في أرجائها حقبا

****

توقف الخلق عن أعمالهم رَهبا	فضاق رزقهمو والجيب قد تعبا
وطال حالَهم بؤس ومسغبة	"كوفيد" أشبعهم فقرا كما رغبا
تعطل الناس لاحلا ومرتحلا	وقطعت صلة وقيل: واكربا!!!

فالنـــاس في محـــن ماضـــون في وهـــن   وشر مـرتهـن والعـيش قـد خربـا

هيهات يهنـا لهـم جفـن ومضـطجع   وليس في وسعهم عن شره هـربـا

****

كـــذا الـــمساجد في الأنحـــاء قـــاطبة   أمست خلاء وعـنها سـاجـد ذهـبـا

والراكعون مضوا عـن طهـر سـاحتها   خوف الكرونا التي تستجلب الـتـعـبـا

تبكي الـمـآذن من هـجر ومـن وجـع   إن حـان وقـت صـلاة الفـرض أو وجبا

إذا الـمنادي دعـا في يـوم جـمـعـتنـا   فـلامـجـيب ولامن راكـع نُـدبـا

****

حتـــام يبقـــى عبـــاد الله في نكـــد   وللكرونـا لظـى يُصـليهم والحَرَبـا

إني لأعـجـب مـن عـلـم لـه نـفـــذ   نزهو به ونصوغ الشعر والخُطبا

ولا نـــرى رجـــلا أو عالمـــا لبقـــا   يـــواجه الـــداء أو يعـــالج التعبـــا

****

رحـماك ياخـالـقي مـن محـنة نزلـت   فيـــها بـلاء يزيـد الهـم والنصـبا

إنـــا ضـــعاف إلـــه الـكـــون خالقنـــا   فـــاجعل لنـا مـددا يـارب مقتربـا

نمـــضي بـه رشـدا في ليـل مـحنتنـــا   والطـف بنـا ربنـا واكشـف لنـا الحُجُبـا

يـــارب قيـــض لـهـــذا الـداء بـلـســـمه   ومـا يزيل أذى أو يـذهب الـوصـــبا

المحلة الكبرى

في 2020/5/26م

المراجع

1- أدب المناسبات ، مجلة : دعوة الحق ، العدد186، المملكة المغرب

2- البداية والنهاية لابن كثير.

3- الشوقيات (١/ ٨٢-٨٥)، تقديم حسين هيكل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

4- دراسات في النص الشعري ، د/ عبده بدوي ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ط1، ا987م

5- ديوان البارودي ط1، مكتبة الآداب ، القاهرة 1904م

6- ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدّم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1987م.

7- رح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ، 1979م

8- مود غنيم ، الأعمال الكاملة ٬ المجلد الأول ، المقدمة دار الغد العربي ، القاهرة 1993م

9- منشورات نزار قباني ، بيروت

10- موسوعة المورد، منير البعلبكي ، دار نظير عبود ، بيروت ،1991م

11- وفيات الأعيان لابن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ج5



دكتور / نعمان عبد السميع متولي
دكتوراه في الأدب العربي

صدر للمؤلف :

1 - البلاغة المعاصرة

2 - النحـو الـمعـاصـر

3 - الـتناص اللـغــوي

4 - الانزياح اللـغــوي

5 - المفارقة اللغوية

6 - المقاربة النصية

7 - ثنائية البلاغة والأسلوب

8 - مكونات الجملة والأسلوب

9 - في مدارات النقد الأدبي

10 - إيقاع الشعر العربي

11 - الأساس في قواعد الإملاء

12 - صلاح جاهين شيخ الزجالين

13 - القراءة والتلقي

14 - موسوعة الشعر العربي (6أجزاء)

15 - موسوعة الخط العربي (3 أجزاء)

16 - المرشد المعاصر إلى طرائق التدريس

17 - معالم النص الإليكتروني

18 - متفرقات في النحو

19- الخطاب الشعري

20- الأساس في الضبط والإعراب

21- الأمثال العربية بين الفصحى والعامية

22- سبحات الفكر (ديوان شعر)

23- تجليات التجربة الشعرية

24- قليل من البوح (ديوان شعر)

25- روائع الحصاد من لغة الضاد

26- أفاويق التورية، حلية الكلام ومتعة الأفهام

27- المناهج الدراسية

28- التشكيل الدرامي في الأدب العربي

29- قبس من الذكريات (شعر)

30- البارودي شاعر البطولة والأصالة

31- المختصر المفيد في قواعد اللة العربية

32- قصائد معقمة في زمن الكورونا (ديوان شعر)